كرّاسات التحرير

كرّاسات التحرير

إصدار

حركة المقاومة الإسلامية «حماس» في الخارج

1445هـ / 2024م

المحتويات

مقدمة	3
أبجديات في فكـر المقاومة	7
الإعـداد والتهيُّـؤ	31
الإتقان والمثابرة والتفاني	47
المكابدة والاستبشار	59
المقـاومـة وحاضنتها الشعبية	69
المرأة في المجتمع المقاوم	83
ثقافةالمقاومة في زمن الطوفان	99
احتلالٌ يُعانِدُ سُنَنَ التاريخ	119
من التضامن إلى الالتحـام	131
المقـاومة خيار الأمّة الاستراتيجي	145

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، القويّ العزيز المعين، والصلاةُ والسلامُ على النَّبيّ الأمين، الذي بلَّغ الرِّسالة وأدَّى الأمانة على أتمّ وجهٍ حتَّى أتاه اليقين، وعلى آله وصحبه وأتباعه بالحقّ إلى يوم الدين، وبعد

فمّا أجلَّ طريقَ الحقّ وما أوضحَه، وما أعزَّ التضحياتِ في سبيله، وما أثمنَ آخرتَه وعقباه، فطوبى لمَنْ وفَّقه اللهُ إلى هذا الطريق، وثبَّتَه وأعانَه وسدد خطاه، حتَّى بلغَ المرادَ الأعظمَ وهو رضوانُ اللهِ سبحانه وتعالى.

وإنَّ من سنن الله في الكون والحياةِ أنَّ السالكَ في طريقِ السَّفرِ لا بدَّ له منْ إعدادٍ وهمّة وزادٍ، وإلَّا فإنَّ مشقَّةَ الطريق تغلبُه، فيتعثر ويهوي إلى الأرض منْ شدَّةِ التعبِ، والجوعِ، والعطشِ، والشدائدِ، فيخسر نفسَه وغايته. إنَّ هذه حالةُ الإنسانِ في طريقِ سفرِه إلى بقعةٍ منْ بقاعِ الأرض، فكيفَ بحاله حينَ يكونُ مهاجرًا إلى اللهِ، مجاهداً في سبيله، سائرًا في طريقِ مرضاته، حاملاً همومَ دينه ووطنه وأمته؟!

إنَّ منْ شروطِ العملِ الناجح: الإعدادُ الجيِّدُ المتقنُ لإنجازه، والاستعدادُ لتحمُّلِ مصاعبه وتبعاته، وقد ندبَنا اللهُ - عزَّ وجلَّ - في مواضعَ كثيرةٍ في كتابه العزيزِ لحسنِ الإعدادِ والاستعداد، فقالَ سبحانَه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

وما أبلغ كلمة «قوة» في الآية الكريمة وأوسعَ دلالاتها، وصورها ودرجاتها، مما تُحقَّق به الغاية «ترهبون به عدو الله وعدوكم»؛ فهي الرمي بكل أشكاله، والسلاح بكل أنواعه ومستوياته، وهي الذخائر والعتاد، والإعداد والبناء وحسن الإعداد، وهي قوة الساعد والعقل، والشجاعة والتدبير، ودقة التقدير والموقف والقرار، وحسن إدارة الصراع والثبات في الميدان، وتماسك الصف والتحامه، مع كل معاني الإيمان واليقين والصبر والثبات والتضحية.

إننا اليوم أمام مشروع كبير، بحجم المواجهة المفتوحة مع الكيان الصهيوني الذي يهدد أمتنا وبلادنا والإنسانية جمعاء، وبكل ما يحمله مشروعنا من رمزية وقداسة تتعلق بفلسطين والقدس والأقصى ومكانتها الدينية والتاريخية والاستراتيجية للعرب والمسلمين جميعاً. وأمام معركة عظيمة، عنوانها الأقصى، أطلقتها غزة العزة في السابع من أكتوبر على أيدي كتائب القسام المظفرة ومعها قوى المقاومة وكتائبها المتعددة، وما زالت تخوض هذه المواجهة الشرسة طوال ما يزيد على سبعة أشهر، تسجل فيها ملاحم غير مسبوقة من البطولة والشجاعة والإبداع، ودقة الأداء وعظمة الصبر والثبات، واليقين المطلق بالله تعالى ووعده للمؤمنين، لتُشكِّل هذه المعركة الجولةَ الأكبر من جولات الصراع مع الاحتلال الصهيوني، وتضع شعبنا وأمتنا أمام لحظة فارقة وعميقة الأثر على طريق التحرير والعودة واستعادة الأرض والقدس والمقدسات، وحماية الأمة والإنسانية من شرور المشروع الصهيوني الدموي الوحشي والمناقض لكل القيم والمبادئ والأخلاق والإنسانية.

وإن ما أطلقته معركة طوفان الأقصى من تداعيات واسعة على مدى الساحة الإقليمية والدولية، وتأثيرات عميقة في وجدان الشعوب شرقاً وغرباً، وخاصة لدى الأجيال الجديدة، وتحولات تتزايد يوماً بعد يوم، تأييداً لشعبنا وقضيته العادلة، وغضباً جارفاً على الاحتلال الصهيوني وجرائمه في الإبادة الجماعية والمجازر والتدمير

والتجويع، ليدل على قيمة وأهمية هذه الجولة من مشروع التحرير، ودورها الكبير في بعث الروح والحياة في شعبنا وأمتنا، وتغيير متصاعد في البيئة الإقليمية والدولية من حولنا، على طريق هزيمة الاحتلال وتحرير فلسطين واستعادة حقوقنا ومقدساتنا بإذن الله.

أبناء شعبنا وأمتنا الكرام ...

إن معركة بهذه الأبعاد والنتائج والتأثيرات، تتطلب منا جميعاً أن نكون على مستواها؛ من حيث الجاهزية والإعداد، ومستوى الإتقان والإبداع والإحسان، والصدق والإخلاص، وقوة العزم والإرادة، أخذاً بتوجيه نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه».

وهذا المستوى الرفيع من الإبداع والإتقان والإخلاص والشجاعة وقوة العزم، نراه بفضل الله مجسداً في إخواننا المجاهدين على أرض غزة، من كتائب القسام وسرايا القدس وسائر قوى المقاومة، ومعهم حاضنتهم الشعبية العظيمة، حيث أعدّوا للأمر عدته، وأنفقوا أنفَس سنوات أعمارهم في الإعداد الشامل والمُضني فوق الأرض وتحتها، وبكل فنون القتال والمواجهة، وبنَوا جيشاً من رجال عظماء قادرين على كسر معادلة التفوق العسكري لدى جيش الاحتلال، والتغلب على اختلال ميزان القوى، وهم بذلك صدقوا الله بإيمانهم وقرآنهم وحسن إعداداهم، فصدقهم الله بهذه النجاحات المبهرة، حتى باتوا حديثَ العالم بأسره، وموضعَ فخر شعبهم وأمتهم بهم، وتحولوا إلى أيقونات ملهمة لكل الشعوب الحرة في العالم.

ومن هنا إخواني وأخواتي أبناء أمتنا العظيمة، .. دعونا نرتقي جميعاً إلى مستوى المرحلة أكثر فأكثر. نعم لقد قدمتم الكثير في ظلال هذه المعركة من الجهاد بالمال والإغاثة والإسناد، وحراك الشارع والجماهير والغضب الطلابي، ومعركة الصورة والرواية في منابر الإعلام والسوشيال ميديا، والضغوط السياسية على أصحاب القرار

حتى يتحركوا لوقف العدوان، فضلاً عن مشاركات عسكرية مقدرة ومشكورة من عدد من الجبهات إسناداً لغزة في معركتها الضارية، ...

لكننا اليوم نحتاج إلى المزيد والمزيد، وإلى انتقال الأمة في ساحاتها وجبهاتها المتعددة، ومعنا أحرار العالم ومَنْ يُجسّدون الإنسانية الحقيقية، إلى مرحلة جديدة تُمكِّننا جميعاً من الانخراط بصورة أوسع وفعالية أكبر في المعركة، والعمل معاً لوقف العدوان على غزة، ووضع حدٍ لجرائم الاحتلال بحق أهلنا في القدس والضفة والسجون وسائر فلسطين وشعبنا في الداخل والخارج، والانتقال إلى مرحلة متقدمة من المواجهة الحاسمة مع العدو الصهيوني نحو التحرير والعودة والاستقلال الحقيقي بإذن الله.

وما ستقرأونه في الصفحات التالية من «كُراسات التحرير»، ما هي إلا تذكير وعناوين وعلامات على هذا الطريق، لاستكمال البناء والجاهزية، والإعداد على كل المستويات، لنملك القدرة على الالتحام في المعركة، والمشاركة في الميدان مع إخوانكم وأخواتكم في غزة وسائر فلسطين، أداءً للواجب، ونيلاً لهذا الشرف العظيم، وطمعاً في رحمة الله ورضوانه.

وفقكم الله، وأعانكم وفتح عليكم، وسدّد خطاكم على طريق الجهاد واستنقاذ البلاد والعباد، واستعادة القدس والأقصى المبارك، قبلتنا الأولى ومسرى نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ومعراجه إلى السماء.

والحمد لله رب العالمين.

أخوكم

خالد مشعل

رئيس حركة حماس في الخارج

أبجديات في فكر المقاومة

إن عُدّت المقاومة موقفاً فإنه ينبثق عن تصوّرات وتطلّعات، وإن شوهدت تصرّفاً فإنّه ينبعث من مفاهيم وأفكار، وهذه بعض الأبجديات في فكر المقاومة التي لا غنى استحضارها وتمثُّلها وتعزيز الوعي بها:

الوعي بالواقع يحرِّض على المقاومة

لا تنقدح شرارة المقاومة دون إدراك واقع الاحتلال والعدوان واستهداف الشعب ونزع حقوقه وسَلْب حريته، فالوعي بواقع البغي والجوْر يقدح إرادة التصدِّي له والاشتباك معه، وقد يتحقّق الوعي بصدمة الواقع الداهم أو بتراكم الخبرة به؛ الذي يماثل الحمْل بفكرة المقاومة استباقاً لميلادها. قد تلجأ قوى الاحتلال والبغي والهيمنة إلى تزييف المشهد عبر افتعال عناوين وواجهات مكرّسة لتورية الواقع عن الأنظار وتضليل جماهير الشعب والأمّة والعالم دون أن تكفّ عن مسعاها لتخدير روح الانتفاض والثورة ضدّها، وإشاعة وعي زائف يحسب المقاومة مخاطرة جسيمة بمصالح البلاد والعباد؛ رغم أنّها مسعى لافتكاك هذه المصالح وحمايتها من العدوّ المُسيْطر. لا يكفي الوعي في عمومه ومقدِّماته، فالحاجة تبقى قائمة إلى تعميقه وإنعاشه عبر الأجيال والمراحل، وإدراك ما يستجدّ من تهديدات وتحدِّيات في أفق الصراع، ولا غنى عن شحن هذا الوعي ببواعث الغضب ومحرِّضات الثورة من شواهد العدوان السافر التي يفيض بها الواقع كي تبقى الإرادة متحفزة والمقاومة متأجِّجة.

ضرورة فهم العدوّ ومشروعه

لا غنى للمقاومة الناجعة عن فهم العدوّ وإدراك طبيعة مشروعه وتحليل ركائز قوّته وتشخيص موارد دعمه وتتبُّع خطوط إسناده. من شأن أيّ قصور في هذا الفهم أن ينعكس على إدراك طبيعة القضية ورؤى المقاومة وتحديد أولويّاتها وتقدير مواقفها وصياغة خياراتها وتفعيل القوى الكامنة من حولها. لم يتأتّ لكثير من الشعوب التي رزحت تحت نير حملات البغي والاستعمار أن تدرك بادئ الأمر طبيعة الهجمة المركّبة الذي تستهدفها من الخارج، فلم يتسنّ لها بالتالي الأخذ بالأسباب اللازمة لدفع الصائل ومقاومة مشروعه إنْ أوتيت شيئاً من ذلك. ومِن قدر فلسطين وأقطار أمّتها أن عايشت شيئاً من هذه الخبرة المؤلمة، فلم تكن الثورات والانتفاضات والإضرابات في بواكيرها لتكافئ خطورة الهجمة الماحقة المشفوعة باختلال جسيم في موازين القوى في العهد الاستعماري. إنّ فهم العدوّ ضرورة في دفع مشروعه وتفكيك بنيانه، والتحوّط من انزلاقات الانصياع له والإذعان لسطوته. ومن فهم مشروع العدوّ تشخيص مقوِّمات وجوده وموارد دعمه وشرايين إنعاشه التي ينتهي بعضها بقوى متنفِّذة على المسرح الدولي، فيكون التوجّه إلى الضغط عليها في مظانِّها من صميم المقاومة وإن تنوّعت الأدوات والأساليب والمقاربات حسب الظروف والبيئات والقوى الفاعلة.

واقعية المقاومة - أو تعريف «الأمر الواقع»

من أبجديات فكر المقاومة إعادة تعريف الأمر الواقع بين باطل يكرِّسه الاحتلال وحقّ تسعى المقاومة إلى إحقاقه، فلا يصحّ الرضوخ للعدوان والاضطهاد وسَلْب الحقوق بدعوى «الواقعية» أو «التسليم بالأمر الواقع»؛ فالأحرى أن يتمثّل الأمر الواقع برفض الانصياع لهذا الجوْر، والسعي في التصدِّي له بكلّ السبل المتاحة، وحشد القوى على هذا النهج، فيصير كفاح الشعب وصمود المجتمع وجهاد المقاومين ومناصرة القضية العادلة هو الأمر الواقع الذي يُعتدّ به. إنّ المقاومة خيار واقعي والإذعان لعدوّ يستهدف الوجود ليس من الواقعية الرشيدة في شيء، فالصراعات أينما وُجد هي تدافع بين أطراف وقوى تبتغي فرض أمر واقع معيّن. ولا يبتعد هذا المفهوم عن نهج الأمم التي ترفض اعتبار آفات الفقر والجهل والمرض والهدر والاستغلال والتلوّث أمراً واقعاً ينبغي التسليم به، فهي تسعى في مكافحتها ومعالجتها بتوجّهات تصحيحية مُعلنة لفرض أمر واقع جديد. لا يقتصر فرض الأمر الواقع على النتائج الميدانية والسياسية التي تتحرّى المقاومة إحرازها، المكلّلة بالانتصار على العدوّ بإذن الله؛ فهو يبدأ في فضاء الرِّواية وما يتّصل به من تصوّرات وخطابات ومطالب. يعني ذلك أنّ الشعب يفرض «أمره الواقع» أيضاً عندما يرفض الانصياع للمحاولات والمساومات التي تبتغي تحجيم قضيّته وتضييع حقوقه وتقزيم مطالبه وحرفه نضاله المشروع عن وجهته العادلة.

التنازل عن الحقوق مكافأة للمعتدي

من فكر المقاومة أنّ الشعوب قد تُسلب حقوقها بمقتضى اختلال موازين القوى، أمّا التنازل عن هذه الحقوق فهو يكافئ المعتدي ويقطع سبل افتكاكها من أنيابه، فلا تنتفي الأحقية بالشيء بسَلْبه. وما من قوّة في الأرض تقوى على إرغام شعب من الشعوب على تسويغ العدوان عليه واستساغة المظلمة التي نزلت به. على أنّ التشبّث بالحقوق وإن تعاقبت الأجيال هو مقدِّمة لا غنى عنها لاستردادها. من شواهد ذلك أنّ حرمان لاجئ الشعب الفلسطيني المُصابر من حقِّهم في العودة لا يسلبهم هذا الحقّ وإن عُدّت قضيّتهم متقادمة، ولن يكون التنازل عن هذا الحقّ – الذي لا تملك أي قوّة في الأرض فرضه على هذا الشعب – إلاّ مكافأة للمعتدي الغاشم بلا جدوى تعود على شعب فلسطين من ذلك. فلا ريب أنّ حماية الحقوق وتحصين الثوابت من المساس هو من أبجديات المقاومة في مستوى الخطاب وعلى صعيد المواقف.

الوعي بكيّ الوعي

ممّا يبتغيه الغزاة من تصعيد عدوانهم على الشعب أن يقمعوا فكرة المقاومة في رؤوسه وأن ينزعوا إرادة المقاومة من صدوره. ليس اقتراف الفظائع وصبّ الأهوال على رؤوس الأهالي مسلكاً انتقامياً للعقاب الجماعي والردع الجائر وحسب؛ فهو بالأحرى خيار نمطي يستهدف كيّ الوعي الجماهيري وإحداث صدمات مُزلزلة لدى

شعب المقاومة. يريد الاحتلال وداعموه من خلال هذا المسلك إثارة انطباعات مضلِّلة تضع المقاومة في موقع المُتسبِّب في وقوع الجرائم الوحشية واستدراج الفظائع المرعبة كنتائج منطقية لمقارعة المحتلّ المعتدي، رغم أنّها من صنعه، وأنّه يؤكِّد بأفعاله الشنعاء هذه حتمية مقاومته والتصدِّي لإجرامه وأنه لا مجال لاستدامته أو التعايش مع وجوده. يفرض هذا النهج العدواني الغاشم تحفيز المناعة الذاتية في مجتمع المقاومة وتعزيز الوعي بأساليبه ومراميه، وبحقيقة أنّ الإقدام على محاولة كيّ الوعي عبر أهوال «الصدمة والترويع» يفضح طبيعة الاحتلال ويكشف خشيته المتأصِّلة من إرادة الشعب وصموده ومقاومته؛ رغم اختلال موازين القوى المادية على جانبي الصراع. ومن نافلة القول أنّ تجارب الاحتلال والاستعمار لجأت إلى تصعيد العقاب الجماعي والأساليب الإجرامية كلّما استشعرت تآكل مشروعاتها ودنوّ آجالها وانقضاء آمادها، فلا عجب أن تنتصب الأشواط الأخيرة الحاسمة من المواجهة مع الشعب التي تكافح لأجل حريتها وحقوقها ووجودها شاهدة على بشاعة المحتلِّين المُعتدين الذي يستميتون عبر هذه الأساليب في محاولة إخماد شعلة المقاومة والتحدِّي المتأجِّجة.

أولوية مقاومة الهزيمة

تشير مفاهيم الاستعمار والاحتلال والهزيمة والنكبة إلى وقائع معيّنة، لكنّ الأمر لن يستتبّ لهذه الوقائع إلاّ بفعلها الفتّاك في وعي الشعوب المُستهدفة وبوطأتها الجسيمة على كاهلها المعنوي.

من مآزق مشروع الاحتلال الاستعماري الاستيطاني الإحلالي في فلسطين أنّه ألحق بأهل البلاد نكبة مريرة بمقتضى اختلال جسيم في موازين القوى؛ لكنّه عجز في الواقع عن إكمال مشروع النكبة هذا في أبعاده المعنوية، فلهم يفلح في إخماد ثورة شعب فلسطين الذي سرعان ما هبّ مع أحرار أمّته لمقاومة المحتلّ الغاصب، وارتفع مفتاح العودة شعاراً لمطلب أصيل باستعادة الأرض والدِّيار. اتّضح من هذا الوجه أنّ النكبة لم تُنجِز مهمّتها الكاملة في الإجهاز المعنوي على شعب فلسطين الذي سارع إلى التصرّف المنطقي ساعياً في مقاومة الهزيمة؛ رغم التبايُن الهائل في موازين القوى وافتقاره إلى ظهير دوليّ مقتدر يساند تحرّره. ومن مقدِّمات استرداد الحقوق وانتزاع المطالب مواصلة التشبّث بها وإن طال الزمن، فالحقوق لا تسقط بالتقادم، ومن ذلك أنّ الحلم يسبق الإنجاز، وأنّ تكريس خريطة البلاد الكاملة في الأذهان والوجدان من مقدِّمات الاستعادة والتحرير الشامل، وأنّ رفع شعار العودة ضرورة لتحقيقها في عاجل الأمر أو آجله، بعون الله تعالى.

قيم المقاومة في مواجهة نزعات الإذعان

تعبِّر المقاومة عن حالة نهوض قيمي في مجتمعها وشعبها وأمّتها وجماهيرها حول العالم، فهي تستحضر مفاهيم وقيَماً تبزغ على النقيض من نزعات اليأس والقنوط وروح الإحباط والتثبيط. تُعلي المقاومة من قيَم الحقّ والعدالة والحرية والكرامة والتضحية والبذل والإيثار والتضامن. وتستدعي المقاومةُ القيمةَ في عمومها دون أن

تغفل عن حمولتها المفاهيمية الرشيدة، فتُدرَك الحرية بمفهومها السابغ الذي يقضي بالانعتاق من نير المحتلّ ولا يفهم منه التمركز حول حرية الفرد في اختياره ومسلكه المنفلت من قيم مجتمعه النبيلة، ويُفهَم من الصبر احتمال المكاره المترتِّبة على خيار المقاومة، وليس احتمال الواقع الجائر والتهاون معه والإذعان له، كما أنّ الحقوق لا تقتصر على أبعادها الفردانية التي تنأى بنفسها عن التذكير بحقوق الشعب في التحرّر والأمّة في الكرامة والإنسانية في التضامن. وليست قيم المقاومة شعاراً مجرّداً أو تكلُّفاً لفظياً أو ادِّعاءً مزعوماً، فهي حالة إنسانية مشهودة تفيض على جماهيرها بالمعاني والدلالات والرمزيّات الملهمة، فيكون واقع المقاومة مُحفِّزاً لتمثُّل قيمها والانبثاق عن مفاهيمها.

الإرادة والتضحية والمصابرة

لا تنهض المقاومة بطبيعتها من واقع تتكافأ فيه القوى المادِّية، فهي إذ تتوجّه إلى مقارعة عدوٍّ مُسيْطر تتسلّح بجسارة تسعى بها إلى ردم الفجوة الماثلة في ميزان القوى. تتحصّن المقاومة بالإرادة المتحفِّزة لتحقيق المطالب العادلة، وبالجاهزية لبذل تضحيات عزيزة لا غنى عنها على هذا السبيل، وبالمصابرة في احتمال الأذى والمكاره ووعورة الطريق وطول الأمد. تتميّز الشعوب المُقاوِمة التي تطلب حقّها بجاهزية عالية للتضحية يفتقر الغزاة إلى مثيلها، فالتشبّث بأطماعهم لا يقتدر في نهاية المطاف على مناهزة تشبّث أهل البلاد بالوجود المستحقّ إن هُم أصرّوا على مقاومته وواصلوا مقارعته وإن طال الزمن.

للمقاومة أثمان مستحقّة

لا غنى في المقاومة عن أثمان تُدفع وضرائب تُبذَل لكنّها أعباء مُستحقّة لا غنى عنها لمن ابتغى الحرية والكرامة واستعادة الحقوق التي لا تُقدّر بثمن. من العبث الرُّكون إلى أيّ مقاربة مادية مجرّدة للتضحيات والخسائر التي تلحق بالشعوب التي تكافح من أجل تحرّرها، رغم الاعتزاز بالتضحيات الغالية التي تُبذل على هذا الطريق، ذلك أنّ الأمم ما شيّدت صروح الحرية والانتصار والاستقلال والسيادة على أرضها ومواردها إلاّ بعد تضحيات هائلة وإن تفاوتت في بذلها حسب كلِّ قضية. ويبقى أنّ العدوّ الباغي يلجأ إلى حيلة رفع الأثمان على الشعب الذي يُقاوِمه كي يردعه عن مواصلة التمسّك بالحقوق والمطالب، ثمّ إنّه يلجأ إلى تصعيد هذه الأثمان كلّما اقترب الشعب من انتزاع انتصاره وكسر شوكة عدوِّه. يسعى المعتدي إلى تحميل هذه التضحيات والخسائر على المقاومة كي يمنح شعبها انطباعاً زائفاً بأنّها تجرّ عليه الويلات، رغم أنّه مَن يقترف ذلك أساساً، بل إنّ مسلكه الإجرامي والتدميري يؤكِّد انتفاء فرصة التسليم به والتعايش معه والرُّضوخ لواقعه. وما كان للمحتلّ المعتدي أن يُلحِق الأذى بالشعب على هذا النحو إلاّ لرهبته من مفعول المقاومة وخشيته من فعلها وأثرها، فارتفاع الأثمان المبذولة يؤكِّد من هذا الوجه صحّة خيار المقاومة وضرورة الإصرار عليه.

الشعب هو الذي يقرّر مصيره

لم يَكتفِ واقع الجوّر العالمي القائم على اختلال موازين القوى بالتسبّب في احتلال فلسطين وصناعة نكبة شعبها عبر الأجيال، فقد تدخّل فوق هذا لمحاولة فرض ما اعتبرها «حلولاً» لهذه القضية على نحو يوافق أهواءه ويضمن استدامة الاحتلال والعدوان ويراعي مصالح رعاته وداعميه. إنّ الحقيقة التي لا يصحّ تجاوزها أنّ الشعوب هي التي تختار وجهتها وتقرِّر مصيرها، وما من خيار لشعب فلسطين ومن يقفون معه من أمّته العريضة وفضائه الإنساني الواسع سوى مقاومة الاحتلال وتقويض مشروعه. إنّ إصرار قوى الهيمنة على فرض مشروعات «الحلّ» تحت عناوين سياسية أو اقتصادية أو أمنية ظلّ مشفوعاً بضمانات مُغلّظة تبتغي استدامة الاحتلال الاستعماري الاستيطاني الإحلالي في فلسطين، ما يجعل هذه المساعي تدخّلات لتصفية هذه القضية العادلة وإنهاء مقاومة شعبها وضمان انصياعه لعدوِّه وإذعان الإقليم بحياله لعلوّ الاحتلال الاستراتيجي على المنطقة بحيالها. لا حلّ في فلسطين سوى إنهاء الاحتلال وتفكيك كيانه وقواعده الاستيطانية والحربية والأمنية والاستغلالية وإعادة الحقّ إلى نصابه، ولاريب أنّ رعاة هذا المشروع في الماضي والحاضر قادرون من فورهم على فرض هذا الحلّ العادل بنزع مقوِّمات الاستمرار عن هذا الكيان الغاصب إن توفّرت لديهم الإرادة لذلك، ومن شأن هذا أن يختصر الأوقات والجهود عليهم وعلى المحتلين المستوطنين في فلسطين. ولا سبيل لشعب فلسطين من أجل افتكاك حقوقه وانتزاع حريّته واستعادة بلاده وتقرير مصيره

سوى المقاومة جيلاً بعد جيل كما فعل ولا يزال؛ إذ لا بديل عنها إلاّ الرضوخ للمحتلّ والإذعان للاضطهاد وتأبيد اللجوء والمعاناة.

مقاومة بكلّ أشكالها

تبزغ المقاومة من حالة وعي يفرضها واقع قائم، فتعبِّر عن ذاتها بالفكرة والخطاب والموقف والتصرّف في مجالات شتّى. إنّ الجهاد القتالي، ممثّلاً بالاشتباك الميداني المسلّح مع الاحتلال، هو ذروة سنام المقاومة، الذي ينهض فوق حوامل شعبية وثقافية وتخصّصية في الحقول المتعدِّدة. فالمقاومة روح تسري في شعبها وجماهيرها دون أن يتقيّد إشعاعها المُلهم بحدود أو نطاقات، فتجد لها تعبيرات واضحة في الثقافة والفنون والآداب، وللمقاومة حواضن وأطر وتشكيلات ومؤسّسات وروافد مجتمعية متعدِّدة. وللمجتمع المقاوم مشروعاته التعليمية والتخصصية والتأهيلية، وخبراته الاجتماعية والخدمية، وروافده الاقتصادية والإنمائية. إنّ صياغة مجتمع التحرُّر والانعتاق من سطوة المحتلّ أولوية لا غنى عنها في مقاومة الشعوب التي تخوض غمار المواجهة معه وتتكبّد الأثمان المستحقّة على هذا الطريق الذي لا بديل كريماً وآمناً ومنطقياً عنه. ثمّ إنّ الاشتباك الميداني مع المحتلّ لا يكون بالسلاح القتالي وحده، فهو يستوعب خيارات الفعل الجماهيري والشعبي كافّة التي تستنزف المحتلّين وتقضّ مضاجعهم وتقوِّض آمالهم باستدامة مشروعهم آمِناً مستقرّاً في البلاد المغتصبة. على أنّ المُفاضلة بين خيارات المقاومة المُتاحة لا يصحّ بها أن تُوظّف ذريعة لإسقاط أولويّات مُحقّقة في مناجزة

المحتلّ ومقارعة مشروعه، كأنْ يُدفَع باعتبار الفعل الجماهيري المُجرّد بديلاً عن الفعل الجهادي الميداني وخيارات التحرّر عموماً.

إنجاز المقاومة في عاجله وآجله

تسعى المقاومة إلى انتزاع الحقوق السليبة والانتصار على العدوّ، وليس لشعبها من خيار عادل غير السعي في افتكاك حريّته وإعادة الحقّ إلى نصابه. وعلى طريق هذا الإنجاز الكبير المأمول ثمّة إنجاز يتحقّق بالتحرّر المعنوي من الإذعان للمحتل المعتدي؛ وبموقف الاستعلاء على سطوته ورفض هيمنته. ومن نافلة القول أنّ الاستسلام لثقافة الهزيمة يفتك بسويّة الشعوب ويهوي بكرامة المجتمعات وأنّ الرُّضوخ لهذا الجوْر يجرّ تبعات سلبية على قيمها ومفاهيمها، ولا يعود على الشعوب المنصاعة إلاّ بمكاسب زائفة تتجرّع الأجيال ثمارها المريرة وعقابيلها المُجحِفة. لا تضمن أيّ مقاومة كانت إحراز الانتصار لشعبها لكنّها تتكفّل باستفراغ الوسع في التصدِّي للمعتدي وحماية حقوق شعبها ومطالبه العادلة. قد يتمكّن الغزاة المعتدون من إطالة أمد مشروعهم لكنّ انتصارهم الناجز لا يتحقّق إلاّ بانكسار إرادة المقاومة وانطفاء جذوة التحدِّي لدى شعب أوقعوا عليه أهوال العدوان وسياسات الاضطهاد وممارسات الإذلال. قد يظنّ المحتلّ الغاشم أنّه حسم جولة عابرة لصالحه بسطوة القوّة غير المتكافئة؛ دون أن يفطن إلى أنّ الشعوب تستبطن خبراتها عبر الأجيال وتستلهم ما قدّمته من تضحيات عزيزة في مواصلة البذل والتضحية سعياً إلى مقاومته ومقارعته من حيث لم يحتسب.

حشد القوى على طريق المقاومة

يُفترَض بالمقاومة أن تكون من الشعب والأمّة وإليهما، وهذا يقتضي اتساع القاعدة المجتمعية والجماهيرية للمقاومة لتسوعب مشروعها ولتتقاسم أعباءها، وكي ترفدها بمزيد من الطاقات والخبرات. ليست المقاومة حالة نخبوية أو منغلقة على ذاتها وإن انخرطت صفوة المجتمع فيها، فكلّما اقتدرت على حشد القوى والجماهير، من عموم الأوساط والفئات والشرائح، انخراطاً في صفوفها ودعماً لمشروعها وتأييداً لخياراتها؛ كان ذلك من مؤشّرات جدارتها في التقدّم بمسيرتها والتعبير عن شعبها ونبض أمّتها الحيّ. ومن مقتضيات حشد القوى الدفع باتجاه تغليب التناقض الجوهري مع مشروع الاحتلال الاستعماري الاستيطاني وقوى الهيمنة الداعمة له على كلٍّ ما قد يستنزف طاقات المجتمع والأمّة بلا جدوى ويصرفهما عن أولوية المقاومة والتحرّر والاستنهاض. ولن ينفكّ الاحتلال وداعموه عن السعي الحثيث إلى نقل الصراع إلى الجبهة المقابلة، لإشغال الشعب والأمّة عن أولوية المقاومة وحرف وجهتها عن الاشتباك معه والصراع مع مشروعه.

استنفار القوى المعنوية الذاتية

لكلٍّ مجتمع وشعب وأمّة مرجعيات دينية وثقافية وتاريخية تُشِعّ بالقيم المحفِّزة والرمزيّات الملهمة، وهي تتميّز في حالة شعب فلسطين وأمّتها بهوية دينية وحضارية حيّة ومشعّة لا حاجة لها للاستقواء بالأساطير والخرافات والمزاعم المُختلقة. حرصت تجارب مقاومة

وحركات تحرُّر على استلهام قيم ورمزيات من خصوصيات شعوبها وثقافاتها، في مسعاها لاستنفار القوى المعنوية الذاتية لأجل تحفيز روح الانتماء وإرادة الكفاح لدى جماهيرها. ولا شكّ أنّ مشروع المقاومة والتحرّر في فلسطين يمتلك مخزونات قوّة معنوية هائلة، من واقع الدِّين الحي والثقافة النابضة ووعي المجتمع وخصوصية البلاد، علاوة على عدالة القضية الواضحة وقوّة الحقّ في مواجهة الباطل. يلحق بهذه المخزونات رصيد الكفاح المشهود عبر الأجيال، ومسيرة الجهاد الطويلة الممتدّة، والتضحيات الغالية التي بذلها الروّاد والقادة والمجاهدون والرجال والنساء من السابقين واللاحقين. تستنفر هذه المقاومة قوى شعبها وأمّتها للتضحية المتسلِّحة بالإيمان بالله والتشبّث بالحقّ على طريق استرداد فلسطين وتطهير المقدّسات، وتحرير بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، مُعزّزة بوعي تاريخي عميق بمخاضات الجهاد وفصول الانتصار التي تعاقبت على هذه الأرض في مواجهة الغزاة الذين كان الاندحار مآلهم. إنّ المقاومة كفاح عادل يستوعب مكوِّنات الشعب ومشاربه جميعاً في فضاء هويّته الحضارية العربية الإسلامية، التي تستعصي على الطمس والإلغاء، واستحضار هذه الهويّة الحيّة يمثِّل بحدِّ ذاته مقاومة ثقافية فعّالة في الصراع مع سردية الزيْف التي يقوم عليها المشروع الصهيوني الملفّق. ومن خصائص القوى المعنوية الذاتية في مقاومة فلسطين أنها تنفتح على فضاء أمّتها التي تتشابك مع هذه البلاد بعُرى وثقى لا انفصام لها، وتشترك مع شعبها في الهوية الحضارية والخصوصية الدينية والأواصر التاريخية والوشائج السكانية.

المقاومة في فضاء أمّتها

إنّ استنفار مخزونات القوى لدى الأمّة خيار استراتيجي لمشروع المقاومة فلسطين، الذي هو مشروع للتحرّر والاستنهاض في مواجهة مشروع احتلال استعماري استيطاني مكرّس للهيمنة على الأمّة بحيالها بدعم من قوى متنفِّذة في المشهد الدولي. فإن كانت فلسطين قاعدة احتلال هذه الأرض وبعض ما جاورها فإنّها أيضاً قاعدة العلوّ الاستراتيجي الذي يسعى رعاة الاحتلال وداعموه في ضمان هيمنته فوق المنطقة بحيالها مشرقاً ومغرباً. ومن أولويّات مشروع المقاومة توجيه قوى الأمّة ضد مشروع الاحتلال والهيمنة الذي يبتغي تأبيد العلوّ الاستراتيجي عليها ومواصلة إضعافها وتمزيقها وإشغالها في صراعات داخلية تستنزف قواها وتضرّ بمصالحها وتقوِّض آمالها؛ مع مواصلة كيّ وعيها واستهداف وشائجها الحضارية ومرجعياتها الدينية وخصائصها القيمية. لا يعني هذا أن تُعدّ فلسطين مُزاحماً لشواغل الشعوب والمجتمعات، أو أن تُعتبر منافساً لمصالح البلدان والدول، ذلك أنّها قضية مؤكّدة للأمّة بحيالها، وأنّ التفريط بها يمسّ بالمصالح الاستراتيجية والأمن الجماعي، وأنّ لا بديل عن الانصياع لعلوّ قاعدة الاحتلال الاستعماري الاستيطاني في فلسطين سوى مساندة مقاومتها بكل السبل المُتاحة.

المقاومة مشروع للتضامن الإنساني العالمي

إن احتشدت لمشروع الاحتلال الاستعماري الاستيطاني في فلسطين قوى متنفِّذة دفعت به ابتداءً وأمدّته بأسباب العدوان والتوسّع والاستمرار، فإنّ فلسطين تستحقّ مساندة الأمم والشعوب والجماهير من أنحاء الأرض بمنطق الامتثال للحقّ والعدل ومناهضة الظلم والعدوان. إنّ هذه المساندة تعبير واضح عن الالتزام بالمبادئ الإنسانية والقيم السامية ومقتضى الشرائع والمواثيق المعتبرة عند البشرية جمعاء. إنّ دعم المقاومة استحقاق مؤكّد لهذه المساندة، بل إنّ التضامن الإنساني العالمي هو من وجوه الانخراط المتاحة في مشروع المقاومة بآفاقه الرحبة. ومما يُجلِّي هذه الحقيقة للعيان إدراك تواطؤات داعمة للاحتلال في فلسطين عبر العالم، لاسيّما من جانب قوى متنفِّذة على المسرح الدولي، ومن شأن هذا أن يحفِّز النضال التضامني مع فلسطين وشعبها ومقاومتها في كلِّ مكان، لاسيّما ما يتعلّق منها بقطع الإمدادات الاستراتيجية والاستيطانية والعسكرية والسياسية والاقتصادية والدعائية وغيرها عن قاعدة الاحتلال الاستيطاني الإحلالي هذه. من خذلان الشعب الواقع تحت العدوان والاحتلال والقهر والاضطهاد أن يُترك وحيداً في مواجهة غير متكافئة مع عدوّ يحظى برعاية دؤوبة ومُساندة سخيّة من قوى كبرى تستغفل شعوبها وناخبيها، وفي هذا ما يجعل قضية فلسطين اختباراً لمدى امتثال الأمم والشعوب والنخب للمبادئ والقيم والشرائع والمواثيق في عالم اليوم.

مفاهيم وخلاصات

- الوعي بالواقع يحرِّض على المقاومة، فلا تنقدح شرارة المقاومة دون إدراك واقع الاحتلال والعدوان واستهداف الشعب ونزع حقوقه وسَلْب حريته.
- لا يكفي الوعي في عمومه ومقدِّماته، فالحاجة تبقى قائمة إلى تعميقه وإنعاشه عبر الأجيال والمراحل، وإدراك ما يستجدّ من تهديدات وتحدِّيات في أفق الصراع، ولا غنى عن شحن هذا الوعي ببواعث الغضب ومحرِّضات الثورة كي تبقى الإرادة متحفزة والمقاومة متأجِّجة.
- لا غنى للمقاومة الناجعة عن فهم العدوّ وإدراك طبيعة مشروعه وتحليل ركائز قوّته وتشخيص موارد دعمه وتتبُّع خطوط إسناده. فهم العدوّ ضرورة في دفع مشروعه وتفكيك بنيانه، والتحوّط من انزلاقات الانصياع له والإذعان لسطوته.
- لا يصحّ الرضوخ للعدوان والاضطهاد وسَلْب الحقوق بدعوى «الواقعية» أو «التسليم بالأمر الواقع»؛ فالأحرى أن يتمثّل الأمر الواقع برفض الانصياع لهذا الجوْر، والسعي في التصدِّي له بكلّ السبل المتاحة، وحشد القوى على هذا النهج، فيصير كفاح الشعب وصمود المجتمع وجهاد المقاومين ومناصرة القضية العادلة هو الأمر الواقع الذي يُعتدّ به.
- يبدأ فرض الأمر الواقع في فضاء الرِّواية وما يتّصل به من تصوّرات وخطابات ومطالب، فالشعب يفرض «أمره الواقع» أيضاً عندما يرفض الانصياع للمحاولات والمساومات التي تبتغي تحجيم قضيّته وتضييع حقوقه وتقزيم مطالبه وحرفه نضاله المشروع عن وجهته العادلة.

- قد تُسلب الحقوق بمقتضى اختلال موازين القوى، لكنّ ذلك لا يبرِّر التنازل عن هذه الحقوق؛ فهو يكافئ المعتدي ويقطع سبل افتكاكها من أنيابه.
- لا تنتفي الأحقية بالشيء بسَلْبه، وما من قوّة في الأرض تقوى على إرغام شعب من الشعوب على تسويغ العدوان عليه واستساغة المظلمة التي نزلت به، على أنّ التشبّث بالحقوق وإن تعاقبت الأجيال هو مقدِّمة لا غنى عنها لاستردادها.
- حماية الحقوق وتحصين الثوابت من المساس هو من أبجديات المقاومة في مستوى الخطاب وعلى صعيد المواقف.
- ممّا يبتغيه الغزاة من تصعيد عدوانهم على الشعب أن يقمعوا فكرة المقاومة في رؤوسه وأن ينزعوا إرادة المقاومة من صدوره فيسعون عبر هذه الحيلة النمطية إلى كيّ الوعي الجماهيري وإحداث صدمات مُزلزلة لدى شعب المقاومة. يفرض هذا النهج العدواني الغاشم تحفيز المناعة الذاتية في مجتمع المقاومة وتعزيز الوعي بأساليبه ومراميه.
- يؤكِّد الاحتلال بعدوانه وسياساته وأفعاله الشنعاء حتمية مقاومته والتصدِّي لإجرامه وأنه لا مجال لاستدامته أو التعايش مع وجوده، ومحاولته كيّ الوعي يفضح طبيعة الاحتلال ويكشف خشيته المتأصِّلة من إرادة الشعب وصموده ومقاومته؛ رغم اختلال موازين القوى المادية على جانبي الصراع.
- لجأت تجارب الاحتلال والاستعمار إلى تصعيد العقاب الجماعي والأساليب الإجرامية كلّما استشعرت تآكل

مشروعاتها ودنوّ آجالها وانقضاء آمادها، فهي تستميت عبر هذه الأساليب في محاولة إخماد شعلة المقاومة والتحدّي المتأجّجة.

- تشير مفاهيم الاستعمار والاحتلال والهزيمة والنكبة إلى وقائع معيّنة، لكنّ الأمر لن يستتبّ لهذه الوقائع إلاّ بفعلها الفتّاك في وعي الشعوب المُستهدفة وبوطأتها الجسيمة على كاهلها المعنوي.
- عجَز الاحتلال عن الإجهاز المعنوي على شعب فلسطين الذي سارع إلى التصرّف المنطقي ساعياً في المقاومة؛ رغم التبايُن الهائل في موازين القوى وافتقاره إلى ظهير دوليّ مقتدر يساند تحرّره. ومن مقدِّمات استرداد الحقوق وانتزاع المطالب مواصلة التشبّث بها وإن طال الزمن، فالحقوق لا تسقط بالتقادم.
- تُعلي المقاومة من قيَم الحقّ والعدالة والحرية والكرامة والتضحية والبذل والإيثار والتضامن. تعبِّر المقاومة عن حالة نهوض قيمي في مجتمعها وشعبها وأمّتها وجماهيرها حول العالم، فهي تستحضر مفاهيم وقيَماً تبزغ على النقيض من نزعات اليأس والقنوط وروح الإحباط والتثبيط. تستدعي المقاومةُ القيمةَ في عمومها دون أن تغفل عن حمولتها المفاهيمية الرشيدة.
- ليست قيم المقاومة شعاراً مجرّداً أو تكلُّفاً لفظياً أو ادِّعاءً مزعوماً، فهي حالة إنسانية مشهودة تفيض على جماهيرها بالمعاني والدلالات والرمزيّات الملهمة، فيكون واقع المقاومة مُحفِّزاً لتمثُّل قيمها والانبثاق عن مفاهيمها.

- لا تنهض المقاومة بطبيعتها من واقع تتكافأ فيه القوى المادِّية، فهي إذ تتوجّه إلى مقارعة عدوٍّ مُسيْطر تتسلّح بجسارة تسعى بها إلى ردم الفجوة الماثلة في ميزان القوى عبر فارق الإرادة والتضحية والمصابرة.
- لا غنى في المقاومة عن أثمان تُدفع وضرائب تُبذَل لكنّها أعباء مُستحقّة لا غنى عنها لمن ابتغى الحرية والكرامة واستعادة الحقوق التي لا تُقدّر بثمن.
- يلجأ العدوّ الباغي إلى حيلة رفع الأثمان على الشعب الذي يُقاومه كي يردعه عن مواصلة التمسّك بالحقوق والمطالب، ثمّ إنّه يلجأ إلى تصعيد هذه الأثمان كلّما اقترب الشعب من انتزاع انتصاره وكسر شوكة عدوِّه. يؤكِّد ارتفاع الأثمان المبذولة صحّة خيار المقاومة وضرورة الإصرار عليه.
- الشعوب هي التي تختار وجهتها وتقرِّر مصيرها، وما من خيار لشعب فلسطين ومن يقفون معه من أمّته العريضة وفضائه الإنساني الواسع سوى مقاومة الاحتلال وتقويض مشروعه.
- لا حلّ في فلسطين سوى إنهاء الاحتلال وتفكيك كيانه وقواعده الاستيطانية والحربية والأمنية والاستغلالية وإعادة الحقّ إلى نصابه، ومن شأن هذا أن يختصر الأوقات والجهود على المحتلين المستوطنين في فلسطين ورعاتهم وداعميهم في كل مكان.
- تبزغ المقاومة من حالة وعي يفرضها واقع قائم، فتعبِّر عن ذاتها بالفكرة والخطاب والموقف والتصرّف في مجالات شتّى.
- الجهاد القتالي هو ذروة سنام المقاومة، الذي ينهض فوق حوامل شعبية وثقافية وتخصّصية في الحقول المتعدِّدة.

- المقاومة روح تسري في شعبها وجماهيرها تجد لها تعبيرات واضحة في الثقافة والفنون والآداب، وللمقاومة حواضن وأطر وتشكيلات ومؤسّسات وروافد مجتمعية متعدِّدة.
- صياغة مجتمع التحرُّر والانعتاق من سطوة المحتلّ أولوية لا غنى عنها في مقاومة الشعوب التي تخوض غمار المواجهة معه وتتكبّد الأثمان المستحقّة على هذا الطريق الذي لا بديل كريماً وآمناً ومنطقياً عنه.
- الاشتباك الميداني مع المحتلّ لا يكون بالسلاح القتالي وحده، فهو يستوعب خيارات الفعل الجماهيري والشعبي كافّة التي تستنزف المحتلّين وتقضّ مضاجعهم وتقوِّض آمالهم باستدامة مشروعهم آمِناً مستقرّاً في البلاد المغتصبة.
- المُفاضلة بين خيارات المقاومة المُتاحة لا يصحّ بها أن تُوظّف ذريعة لإسقاط أولويّات مُحقّقة في مناجزة المحتلّ ومقارعة مشروعه، كأنْ يُدفَع باعتبار الفعل الجماهيري المُجرّد بديلاً عن الفعل الجهادي الميداني وخيارات التحرّر عموماً.
- تسعى المقاومة إلى انتزاع الحقوق السليبة والانتصار على العدوّ، وليس لشعبها من خيار عادل غير السعي في افتكاك حريّته وإعادة الحقّ إلى نصابه. تتكفّل المقاومة باستفراغ الوسع في التصدِّي للمعتدي وحماية الحقوق والمطالب العادلة.
- الاستسلام لثقافة الهزيمة يفتك بسويّة الشعوب ويهوي بكرامة المجتمعات، والرُّضوخ لهذا الجوّر يجرّ تبعات سلبية على قيمها ومفاهيمها، ولا يعود على الشعوب المنصاعة إلاّ بمكاسب زائفة تتجرّع الأجيال ثمارها المريرة وعقابيلها المُجحِفة.

- قد يتمكّن الغزاة المعتدون من إطالة أمد مشروعهم لكنّ انتصارهم الناجز لا يتحقّق إلاّ بانكسار إرادة المقاومة وانطفاء جذوة التحدِّي لدى شعب أوقعوا عليه أهوال العدوان وسياسات الاضطهاد وممارسات الإذلال.
- قد يظنّ المحتلّ الغاشم أنّه حسم جولة عابرة لصالحه بسطوة القوّة غير المتكافئة؛ دون أن يفطن إلى أنّ الشعوب تستلهم ما قدّمته من تضحيات عزيزة في مواصلة البذل والتضحية سعياً إلى مقاومته ومقارعته من حيث لم يحتسب.
- يُفترَض بالمقاومة أن تكون من الشعب والأمّة وإليهما، وهذا يقتضي اتساع القاعدة المجتمعية والجماهيرية للمقاومة لتسوعب مشروعها ولتتقاسم أعباءها، وكي ترفدها بمزيد من الطاقات والخبرات.
- كلّما اقتدرت المقاومة على حشد القوى والجماهير، من عموم الأوساط والفئات والشرائح، انخراطاً في صفوفها ودعماً لمشروعها وتأييداً لخياراتها؛ كان ذلك من مؤشِّرات جدارتها في التقدّم بمسيرتها والتعبير عن شعبها ونبض أمّتها الحيّ.
- من مقتضيات حشد القوى الدفع باتجاه تغليب التناقض الجوهري مع مشروع الاحتلال الاستعماري الاستيطاني وقوى الهيمنة الداعمة له على كلِّ ما قد يستنزف طاقات المجتمع والأمّة بلا جدوى ويصرفهما عن أولوية المقاومة والتحرّر والاستنهاض.
- يمتلك مشروع المقاومة والتحرّر في فلسطين مخزونات قوّة معنوية هائلة، من واقع الدِّين الحي والثقافة النابضة ووعي

المجتمع وخصوصية البلاد، علاوة على عدالة القضية الواضحة وقوّة الحقّ في مواجهة الباطل، ورصيد الكفاح المشهود عبر الأجيال، ومسيرة الجهاد الطويلة الممتدّة.

- تستنفر المقاومة قوى شعبها وأمّتها للتضحية المتسلِّحة بالإيمان بالله والتشبّث بالحقّ على طريق استرداد فلسطين وتطهير المقدّسات، وتحرير بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، مُعزّزة بوعي تاريخي عميق بمخاضات الجهاد وفصول الانتصار التي تعاقبت على هذه الأرض في مواجهة الغزاة الذين كان الاندحار مآلهم.
- المقاومة كفاح عادل يستوعب مكوِّنات الشعب ومشاربه جميعاً في فضاء هويّته الحضارية العربية الإسلامية، التي تستعصي على الطمس والإلغاء، واستحضار هذه الهويّة الحيّة يمثِّل بحدِّ ذاته مقاومة ثقافية فعّالة في الصراع مع سردية الزيْف التي يقوم عليها المشروع الصهيوني الملفّق.
- من خصائص القوى المعنوية الذاتية في مقاومة فلسطين أنها تنفتح على فضاء أمّتها التي تتشابك مع هذه البلاد بعُرى وثقى لا انفصام لها، وتشترك مع شعبها في الهوية الحضارية والخصوصية الدينية والأواصر التاريخية والوشائج السكانية.
- استنفار مخزونات القوى لدى الأمّة خيار استراتيجي لمشروع المقاومة فلسطين، الذي هو مشروع للتحرّر والاستنهاض في مواجهة مشروع احتلال استعماري استيطاني مكرّس للهيمنة على الأمّة بحيالها بدعم من قوى متنفِّذة في المشهد الدولي.
- إن كانت فلسطين قاعدة احتلال هذه الأرض وبعض ما

جاورها فإنّها أيضاً قاعدة العلوّ الاستراتيجي الذي يسعى رعاة الاحتلال وداعموه في ضمان هيمنته فوق المنطقة بحيالها مشرقاً ومغرباً.

- من أولويّات مشروع المقاومة توجيه قوى الأمّة ضد مشروع الاحتلال والهيمنة الذي يبتغي تأبيد العلوّ الاستراتيجي عليها ومواصلة إضعافها وتمزيقها وإشغالها في صراعات داخلية تستنزف قواها وتضرّ بمصالحها وتقوِّض آمالها؛ مع مواصلة كيّ وعيها واستهداف وشائجها الحضارية ومرجعياتها الدينية وخصائصها القيمية.
- تستحقّ فلسطين مساندة الأمم والشعوب والجماهير من أنحاء الأرض بمنطق الامتثال للحقّ والعدل ومناهضة الظلم والعدوان. إنّ هذه المساندة تعبير واضح عن الالتزام بالمبادئ الإنسانية والقيم السامية ومقتضى الشرائع والمواثيق المعتبرة عند البشرية جمعاء.
- التضامن الإنساني العالمي هو من وجوه الانخراط المتاحة في مشروع المقاومة بآفاقه الرحبة. وممّا يُجلِّي هذه الحقيقة للعيان إدراك تواطؤات داعمة للاحتلال في فلسطين عبر العالم.
- من خذلان الشعب الواقع تحت العدوان والاحتلال والقهر والاضطهاد أن يُترك وحيداً في مواجهة غير متكافئة مع عدوّ يحظى برعاية دؤوبة ومُساندة سخيّة من قوى كبرى تستغفل شعوبها وناخبيها، وفي هذا ما يجعل قضية فلسطين اختباراً لمدى امتثال الأمم والشعوب والنخب للمبادئ والقيم والشرائع والمواثيق في عالم اليوم.

الإعـداد والتهيُّـؤ

الإعداد المتكامل

ما كان للمقاومة أن تشقّ الخنادق والأنفاق وأن تُعِدّ العدّة للطوفان والمنازلة، إلاّ بعد مسيرةٍ حافلة من الإعداد والتهيُّؤ وحشد القوى والجهود والموارد المتاحة في مجالات شتّى، وسيبقى الإعداد والتهيُّؤ مطلباً دائماً، يواكب أطوارها، ويُلازم انطلاقاتها نحو آفاق جديدة.

يكمُن رصيد المقاومة الأوّل فوق الأرض وتحتها في الإنسان والمجتمع، ولن تتقدّم الأدوات والوسائل في هذا المسعى على أولويّة إعداد الإنسان وصقل المجتمع؛ الإنسان ذي الإيمان العميق، والفهم الدقيق، والتربية القويمة، والإرادة الصلبة، والعلم النافع، والتأهيل الأمثل، ومجتمع المبادئ والبناء والصمود والبذل والتضحية.

حريّ بالنظر أنّ الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، كانت حدثاً مفصلياً في تاريخ الإسلام، وهي لم تأتِ إلاّ بعد إعداد وتهيئة؛ إعداد الثُلّة المؤمنة الواعية المصابرة في مكّة المكرّمة، وتهيئة مُسبقة لوجهة الهجرة عبر التواصل مع أهل يثرب، وابتعاث مَن يعلّمهم الدِّين الحنيف، ثمّ وصول طلائع المهاجرين إلى المجتمع الجديد، الذي قدّم فيه الأنصار أروع صور التآخي والتكافل. لا يُغني هذا الإطار العامّ للإعداد والتهيئة عن العناية بمتطلّبات تفصيلية، فقد كانت لرحلة الهجرة النبوية خطّتها المُبرَمة، ومساراتها المُحدّدة، واحتياطاتها الأمنية، وإمداداتها اللازمة، مع استشعار معيّة الله تعالى خلال هذه الرحلة التي صنعت التاريخ ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ

لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 40].

لا عجب أنّ مشروع المقاومة والتحرير، قبل أن يشقّ الأنفاق والخنادق؛ تعيّن عليه أن ينطلق من المحراب؛ محراب الإيمان والتربية والعلم والارتقاء وخدمة المجتمع، لبناء الإنسان، واستنهاض الجماهير، عبر امتلاك أسباب القوّة المعنوية من مواردها، فلن يقوم الخندق بوظيفته المُثلى في النِّزال دون إعداد متكامل يسبقه للفرد، وتهيئة مستحقّة لمجتمع المقاومة؛ في المساجد والجوامع، والمعاهد والجامعات، والمؤسسات والجمعيات على تنوّعها وتخصّصها. فالمقاومة الرشيدة تستنهض مجتمعها وشعبها وأمّتها على طريق إعداد العُدّة، واستجماع القوّة في المجالات جميعاً في حدود الاستطاعة. ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [الأنفال: 60]، وتبقى الجماهير التي خاضت انتفاضاتها وقدّمت تضحياتها جيلاً بعد جيل رافدَ المقاومة، وخزّانها البشري، وحاضنتها الشعبية.

هكذا تكون أداة الميدان المُطوّرة، التي تُثخِنُ في العدوّ، نتاجَ عِلم وعمل، وصبرٍ واجتهاد، وتضحياتٍ مبذولةٍ على طريق تطويرها، ومجتمعٍ يدفع للمقاومة بخُلاصة عقوله كي تبتكر وتطوِّر، وبفلذاتِ أكباده كي تتدرّب وتقتحم. فالمشهدُ الأخير الذي يُرى في الميدان، يختزل في ذاته كلّ ما سبقه من إعداد العُدّة، والأخذ بالأسباب جميعاً مرحلةً تلو مرحلة. لو لم يكن الجامع والجماعة، والجامعة والجمعية الأهلية، وغيرها من المبادرات والمشروعات والتجارب التي ضُخّت فيها جهودٌ مُضنية، وصُبّت فيها موارد هائلة، لما نهضت مقاومة هذا الشعب مارداً يقتحم حصون العدوّ، ويستعصي على

الانكسار بعون الله تعالى.

ولا تبلغ مشروعات المقاومة والتحرير أهدافها دفعة واحدة، فدونها محاولات وعثرات حتى يشتدّ عودها، ولا شكّ أنّ السعي إلى التطوير يقتضي مزيداً من البذل والتضحيات، مع الاستدراك على القصور والأخطاء، فلا تكون عثرات التجريب وإخفاقات المحاولة التي تعتري التجارب الرشيدة إلاّ مُحرِّضاً على استخلاص الدروس، واستلهام العبَر على طريق التصويب والتحسين والتطوير، ومن هذا مثلاً قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ [التوبة: 25].

يقتضي مشروع المقاومة والتحرير استثمار الطاقات جميعاً، على نحو يتجاوز رُقعةً بعينها، فينبغي أن يكون لكلٍّ دوره في المشروع الرشيد، ولا فائض طاقاتٍ فيه إن جاء مُتقناً. ومن كفاءة الإعداد أن يستوعب القدرات المتاحة، وينقِّب عن الطاقات الكامنة، ويطوِّر الخبرات والإمكانات والتخصُّصات في المجالات جميعاً، وأن يضع حقل «الموارد البشرية» نصب عنايته كسباً وتأهيلاً وارتقاءً. ومِن أمارات العافية في هذه المسيرة، أن يتحلّى الفردُ بالحرص على قدراته، والمبادرة إلى وضع مؤهِّلاته وخبراته في خدمة مشروع المقاومة والتحرير والاستنهاض الشامل من أيّ موقع كان، ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 148].

من التحدِّيات الكبرى التي يستشرفها مشروع المقاومة والتحرير والاستنهاض بعد انطلاق الطوفان أن تتوجّه طاقات الأمّة وقوى

الأحرار حول العالم إلى مساندة هذه القضية العادلة، والانخراط في مساراتها، والتقدّم بها نحو آفاق جديدة، كلّ من موقعه وحسب إمكاناته ووفق خصوصيّاته، وأن يُترجمَ التلاحم المعنوي إلى التزام عملي، وأن تستحيل العاطفة موقفاً مشهوداً، وفعلاً مؤثّراً، وتصرّفاً محرِّكاً. وفي التوجّه إلى إعداد العدّة برهانٌ عمليّ على المقصد والعزم، وهو فيصَل بين صدق التوجّه والادِّعاء الأجوف، قال تعالى ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: 46].

ما أحوج مشروع المقاومة والتحرير والاستنهاض إلى مزيد من المهارات الجماعية، والخبرات الفردية، والتخصُّصات النوعية، واستيعابها في أطر الفعل والتشبيك المتعدِّدة، التي تشمل الحقول النظرية والعملية جميعاً،وأن ينطلق بعضُها في الآفاق ليخدم المشروع من مواقعه وعبر منصّاته ومن خلال مهاراته في مجالات تستعصي على الحصر، ولا ينبغي أن تكون المسافات عائقاً في هذا السبيل.

وفي قصّة ذي القرنين ما يُنبِّه إلى الإنجاز العظيم، الذي يتحقّق باجتماع الإيمان مع الإرادة والوعي والقوّة وحشد القدرات والإلمام بالمعارف وحُسن التنظيم وتوظيف الطاقات، وهذه متلازماتٌ لا غنى عنها لمشروعات التحرير والنهضة عموماً، فقد انتقل ذو القرنين بقوّم تملّكهم العجزُ واستبدّ بهم الاستضعاف، إلى إقامة مشروع عملاق شيّدوه بأنفسهم، وفق خُطّة رسمها، وترتيب وضعه، ووظائف حدّدها، ومعرفة دقيقة بالإنشاءات النوعية استخدمها في التنفيذ بمعيّتهم. ﴿قال مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (96)﴾ [الكهف: 95-96]. انطلق ذو القرنين من الإقرار بأنّ القوّة والتمكين من الله تعالى ﴿قال مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ واستنفر الطاقات ووجّهها بعناية في خدمة المشروع ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ وباشر تنظيم الأداء بطاقاتهم المتاحة ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾.. ﴿قَالَ انفُخُوا﴾ .. ﴿آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾.

دشّن «طوفان الأقصى» مرحلة جديدة في تاريخ الصراع، تضع الأمّة بأكملها في مواجهة استحقاق التحرُّر من العجز والقعود، والانخراط الفاعل والمتكامل في حمل مشروع التحرير، والاستنهاض لدفع عدوّ يستهدفها في وجودها ومقدّساتها ودينها وثقافتها وكرامتها وأرضها، ولتفكيك أواصر الهيمنة التي تسلبها إرادتها، وتكبِّل قرارها وتُضيِّع مصالحها. فلا يَصِحّ أن تبقى طاقات الأمّة خارج معادلة الصراع التي تُحشد لجبهتها المقابلة إمكاناتُ دول توصَف بالعظمى، وأن تبقى جماهير الأمّة كمّاً معطّل الفعل منزوع الفاعلية. لا شكّ أنّ هذا الواقع يفرض الإقدام على استنفار الطاقات وتوظيف القدرات، وتحفيز المهارات على بصيرة في المجالات جميعاً؛ لإحداث فارق نوعيّ في واقع الأمّة على طريق التحرير والنهضة. وحريّ بصفوة المجتمعات وذوي الخبرات وحاملي الاختصاصات وأصحاب المهارات وعموم الطاقات من الأجيال جميعاً، أن ينشغلوا بالتساؤل عن موقع كلّ منهم من مسيرة الإعداد والتهيُّؤ على طريق المقاومة والتحرير والاستنهاض، وأن يبادروا بالتصرّف الواعي على هذا الأساس.

إعداد القوّة والرباط

وفي قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 60] إشارةٌ إلى إعداد القوّة والرِّباط، والرِّباط ملازمةُ ثغور العدوّ حسب مقتضيات زمانها، وله متطلّباته في الميدان من التدريب والتهيُّؤ، والتخطيط والإنشاء، والإمداد والتجهيز، والرصد والتأهُّب. وقد بذلت المقاومة قصارى الجهود في هذا المسعى، دون أن تغفل عن أنّ المحتلّ الغاشم أوتي أكثر قدرات العالم تطوُّراً في المراقبة، وأكفأها دقّةً في الاستشعار. ثمّ إنّ المقاومة سعت إلى تطوير قدراتها في الرِّباط على الثغور والتهيُّؤ فوق ذلك لاجتياز عوائق العدوّ التي أقامها فوق الأرض وتحتها، واختراق جدرانه وحصونه، والسيطرة على قواعده وثكناته.

وتزداد أهمية الإعداد والتهيُّؤ إن أوتي العدوّ إمكانات متقدِّمة لا تسهُل مقارعتُها. ومن قدَر هذه الأمّة أنْ أقام محتلّو فلسطين كيانهم الغاصب على أحدث ما انتهت إليه تجارب الاستعمار الأوروبي، فوضعوا في هذا الكيان خلاصةَ الخبرات الاستعمارية، وأمدّهم حلفاؤهم بأكثر الإمكانات تطوّراً في الأسلحة والذخائر والأمن والصناعة والتقانة والاقتصاد والعلوم، عبر مسارات دعم سخيّ، وإسنادٍ متواصل، منذ بواكير النشأة والاحتلال حتى يومناً الحاضر. لا ريب أنّ هذا الواقع يفرضُ تحدِّيات مُضاعفة على مشروع المقاومة والتحرير والنهضة، وفيه تنبيهٌ واجبٌ إلى دور

الأمّة وقواها ومخلصيها وأحرار العالم عموماً، في هذا المشروع الذي يواجه كياناً عدوانياً يهدِّد الأمّة بأجمعها، ويحظى بكلِّ هذا الدعم وهذه المساندة من قوى متنفِّذة في النظام الدولي ومهيْمنة على المنطقة والعالم.

درس من كوكبة القسّام

حرصَ الشيخ المجاهد عزّ الدين القسّام، يرحمه الله، على إعداد العُدّة، فجمع كوكبةً للتهيُّؤ والتدرّب في مكانٍ تخيّره بعيداً عن الأنظار، فباشرت الكوكبةُ القسّاميةُ الأولى التدرُّب في أحراش يعبد، قرب جنين، عام 1935، لتنفيذ خطّة طموحة تستهدفُ مقاومة المحتلِّين البريطانيين وإحباط المشروع الاستعماريّ الصهيوني الذي يتغلغل في البلاد تحت رعايتهم. كان من دروس هذه التجربة المُلهِمة أنّ الانضباط والاصطبار حتى تحقيق الخُطّة المرسومة ممّا لا غنى عنه، فقد أوْدَت العجلةُ والتسرّع بهذه المحاولة الجريئة عندما استعجل أحدُهم في الموقع الاشتباكَ مع قوّة احتلالٍ بريطانية مرّت بالجوار، ما أفضى إلى انكشاف المجموعة المجاهدة والانقضاض عليها واستنزاف المشروع الجهادي الوليد قبل أوانه. استبسل الشيخ القسّام ورفاقه المجاهدون في معركة غير متكافئة، فارتقَوْا شهداء، وطوردت بقيّتهم، لكنّ تجربتُهم ألهمت الأجيالَ من بعدهم، وتأكّدت من خلالها أهميةُ الأخذ بالأسباب لإنجاح الخطط المرسومة. كانت تضحيات الشيخ القسّام وإخوانه المجاهدين حدثاً مُلهِماً ترك أثراً مباشراً في اندلاع الثورة الكبرى، والإضراب المديد

عام 1936، وصولاً إلى أجيال الثوار والمقاومين من بعده، وشاء الله تعالى أن يكون اسم الشيخ عز الدين عنواناً لأجيالٍ من عتاد المقاومة وكتائبها المجاهدة، التي تستبسل في مواجهة العدو. قد يستنتج النظر القاصر إلى التجربة القسّامية الأولى سنة 1935 أنّها أخفقت حقّاً، بعد أن أُحبِطت الخطّة في مهدها، واستُنزِفت الكوكبة المجاهدة عن آخرها، دون أن يفطن إلى أنّ المحاولات المتعاقبة تشحن مقاومة الشعوب، وتؤجّج ثوراتها، وتحفّز انطلاقاتها المتجدِّدة جيلاً بعد جيل.

مِن فِقه الإعداد والتهيُّؤ أن لا يُضحّى بالهدفِ الكبير المرسوم تحت إغراء أهدافٍ عارضة قد تتجلّى للعيان، أو رغبةً بمكتسبات عابرة قد تلوح في الأفق، وأن لا يحصُل الاندفاعُ إلى استجاباتٍ تُمليها رغباتُ المُحبِّين، وأمنيّاتُ المُشفقين، ممّن لم يطّلعوا على الصورة الكاملة، أو لم يُدركوا حسابات الموقف وتقديرات الميدان، فللإقدام مقتضياتُه، وللإحجام مبرِّراته، ممّا لا يَحسُن الإفصاح عنه أحياناً حتى في معرض الردّ والمناقشة. فقد يتطلّب الإقدامُ على التصرّف الناجز في أوانه إحجاماً عن استعجالِ التصرُّف المتسرِّع في غير ذلك، مع احتمالِ وطأةِ ذلك على الأنفُس أحياناً، فقد تُرمَى المقاومةُ بالقعود والخذلان، وقد يشتدّ النقدُ عليها ويتزايدُ اللوْم من حولها، دون أن تملكَ الإفصاحَ عن انهماكها في الإعداد لما هو أعظم بإذن الله، ولا يسعها الكشفُ عن أنّها تتهيّأ لتحقيق أهداف كبرى مرسومة، وأنّ بعض سلوكها الظاهر مُكرّس أساساً لمقصد «لخداع الاستراتيجي»، أي لتضليل العدوّ الذي يفتح عيونه وآذانه في رصد نوايا المقاومة وإرهاصات الميدان ابتغاء إحباطها.

وقد تبيّن لهؤلاء وهؤلاء أنّ المقاومة صنعت الفُلْك، وكلّما مرّ عليها ملأٌ من العاجزين سخروا منها حتى جاء الطوفانُ فأدهشهم، وأدركوا سِرّ الإعداد الدؤوب الكامن خلف هذا المشهد الأخّاذ.

من الكمون إلى الانبعاث

تتطلّب تتطلّب مقاومةُ الشعوب مُكابدةً في اجتياز العوائق، ومُجاهَدةً في احتمال المشاقّ، وهذا يقتضي تضحياتٍ عزيزة بلا ريب. ومن نافلة القول أنّ خلفَ كُلِّ إنجازٍ يتراءى في الميدان أشواطٌ مديدة من الكدّ والعَرَق والتضحيات، وحشد للجهود، وتركيز للقُوى، واستجماع للإمكانات المتاحة، لإنجاز الخطط المرسومة على أفضل وجه. بدون هذا كلِّه، بعد الاتِّكال على الله واستلهام العون والمدد منه تعالى، ما كان لأنفاق المقاومة أن تُشَقّ في جوفِ الأرض، تحت أنظار المحتلّ وأسماعه، وما كان للمقاومة أن تُطوِّرَ سلاحَها وتُصنِّعَ ذخائرها وتُحسِّن إمكاناتها، وما كان لأداء المجاهدين في الميدان أن يأخذ بألبابِ مَن واكبوه وأدركوا شجاعته وكفاءته، على نحو أذهل العدوّ وحلفاءه والعالم في ساعة المنازلة، وما كان للأهالي أن يحتضنوا مقاومتهم رغم صنوف الوحشية التي أُنزِلت بهم.

حريّ بالنظر أنّ التخطيط النضالي أو الثوري، يسعى بطبيعته إلى تحقيق أهدافٍ قد لا تكون في منطق التخطيط الإجرائي المعتاد ممكنة التحقّق أساساً. فتخطيط المقاومة يأخذ بالأدوات المباشرة على بصيرة دون أن يغفل عن السنن الكبرى.

من فقه السنن أن تُمنَح التهيئةُ فرصتَها، من الكمون إلى الانبعاث، مع إدراك دور الزمن في معادلة الإعداد والتهيُّؤ، فالزمن مجالٌ تكوينيّ لا يجعلُ التيهَ تيهاً ولا الجوعَ جوعاً ولا الحصارَ حصاراً؛ بل قد يكون فضاءً لصناعة الأجيال، وفرصةً للتخلية والتحلية، ومدرسةً للتنشئة والتمحيص، وفسحةً للوعي والتجريب، وتراكماً للجهود، وارتقاءً للمحاولات.

ومِن فقه السنن إدراك عامل التضحية في إحداثِ فارق لا يتأتّى بدونها، ومفعول التفاني في الإنجاز الذي يَصِلُ الليل بالنهار، لتحقيق أهدافٍ مرسومة، قد تتخطّى توقّعات أهل التخطيط والإدارة، وحسابات راسمي الاستراتيجيات والسياسات.

ولم يغِب الطموح إلى قهر ما يُعدّ مُستحيلاً عن تجارب ومشروعات كبرى صنعت التاريخ، وقد تجلّى ذلك، مثلاً، في فتح القسطنطينية التي استعصت على كلِّ محاولة سبقتها، فكانت الخطّة الجسورة التي أقدم عليها محمد الفاتح بِجَرّ السفن على اليابسة وإنزالها إلى الماء لاختراق الطوق الدفاعي المنصوب حول المدينة الاستراتيجية، ولمثل هذه التجربة شواهد أخرى في فصول التاريخ.

إنّ عبور قناة السويس، واختراق حصون العدوّ في حرب رمضان/ أكتوبر 1973، مثال آخر معاصر على قوّة الإرادة التي شُحِذت بعد نكبة ثانية، وهزيمة مريرة ألمّت بهذه الأمّة قبل سنوات ستّ من ذلك الحدث، وما كان لهذا الإنجاز العسكري الجسور أن يتحقّق دون إرادة تضحية عالية مشفوعةٍ باتِّكال على الله تعالى، وإطلاق تكبيرات تصل الأرضَ بالسماء. وقد جاء أكتوبر الجديد بعد نصف

قرن من ذلك الحدث، ليخترق المجاهدون في قطاع غزة الحصون، ويجتازوا القلاع، ويسيطروا على قواعد الاحتلال وثكناته، ويدمِّروا «فرقة غزّة»، ويمرِّغوا أنوف جيش الاحتلال في التراب، في هجمة خاطفة تجاوزت نطاقات التوقّع جميعاً، وأسقطت رهانات التحصُّن بأكثر أدوات العصر تطوّراً.

وإذ يبقى إعداد العدّة ضمن حدود الاستطاعة، كما في قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: 60]، فلا غنى عن صدق التوجّه، واستصحاب النيّة، والاتِّكال على الله تعالى، واستلهام العون منه، فالتوفيق والنصر والغلبة من عند الله، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: 13]، وقال عزّ وجل: ﴿بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (125) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (126)﴾ [آل عمران: 125–126]، وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: 160].

مفاهيم وخلاصات

- يقتضي الإعدادُ عزماً وتصميماً، واصطباراً ومكابدة. الإعداد والتهيُّؤ مطلب دائم، يواكب مشروع المقاومة والتحرير والاستنهاض عبر أطواره، وينبغي أن يُلازم انطلاقاته نحو آفاق جديدة.
- ما كان للمقاومة أن تشقّ الخنادق والأنفاق وأن تُعِدّ العدّة للطوفان والمنازلة، إلاّ بعد مسيرة حافلة من الإعداد والتهيُّؤ وحشد القوى والجهود والموارد المتاحة في مجالات شتّى.
- يكمُن رصيد المقاومة الأوّل في الإنسان والمجتمع، ولن تتقدّم الأدوات والوسائل في هذا المسعى على أولويّة إعداد الإنسان وصقل المجتمع.
- قبل شقّ الأنفاق والخنادق؛ تعيّن الانطلاق من المحراب؛ محراب الإيمان والتربية والعلم والارتقاء وخدمة المجتمع، لبناء الإنسان، واستنهاض الجماهير، عبر امتلاك أسباب القوّة المعنوية من مواردها.
- المقاومة الرشيدة تستنهض مجتمعها وشعبها وأمّتها على طريق إعداد العُدّة، واستجماع القوّة في المجالات جميعاً في حدود الاستطاعة.
- لو لم يكن الجامع والجماعة، والجامعة والجمعية الأهلية، وغيرها من المبادرات والتجارب التي ضُخّت فيها جهودٌ مُضنية وصُبّت فيها موارد هائلة، لما نهضت مقاومة هذا الشعب مارداً يقتحم حصون العدوّ ويستعصي على الانكسار بعون الله تعالى.
- المشهدُ الأخير الذي يُرى في الميدان، يختزل في ذاته كلّ ما سبقه من إعداد العُدّة، والأخذ بالأسباب جميعاً مرحلةً تلو مرحلة.

- لا تبلغ مشروعات المقاومة والتحرير أهدافها دفعة واحدة، فدونها محاولات وعثرات حتى يشتدّ عودها، ولا شكّ أنّ السعي إلى التطوير يقتضي مزيداً من البذل والتضحيات.
- عثرات التجريب وإخفاقات المحاولة تستدعي استخلاص الدروس، واستلهام العبَر على طريق التصويب والتحسين والتطوير.
- يقتضي مشروع المقاومة والتحرير استثمار الطاقات جميعاً، على نحو يتجاوز رُقعةً بعينها. ينبغي أن يكون لكلٍّ دوره في المشروع الرشيد، ولا فائض طاقاتٍ فيه إن جاء مُتقناً.
- من كفاءة الإعداد استيعاب القدرات المتاحة، والتنقيب عن الطاقات الكامنة، وتطوير الخبرات، وتثمير الإمكانات، وتنمية التخصُّصات في المجالات جميعاً.
- على الأفراد تطوير قدراتهم، والمبادرة إلى وضع مؤهِّلاتهم وخبراتهم في خدمة مشروع المقاومة والتحرير والاستنهاض الشامل من أيّ موقع كانوا.
- على طاقات الأمّة وقوى الأحرار حول العالم أن تتوجّه إلى مساندة هذه القضية العادلة، والانخراط في مساراتها، والتقدّم بها نحو آفاق جديدة، كلّ من موقعه، وحسب إمكاناته، ووفق خصوصيّاته.
- ينبغي ترجمة التلاحم المعنوي إلى التزام عملي، وأن تستحيل العاطفة موقفاً مشهوداً، وفعلاً مؤثِّراً، وتصرّفاً محرِّكاً.
- في التوجّه إلى إعداد العدّة برهانٌ عمليّ على المقصد والعزم، وهو فيصَل بين صدق التوجّه والادِّعاء الأجوف.
- الحاجة قائمة إلى مزيد من المهارات الجماعية، والخبرات الفردية والتخصُّصات النوعية، واستيعابها في أطر الفعل والتشبيك المتعدِّدة، التي تشمل الحقول النظرية والعملية

جميعاً، وأن ينطلق بعضُها في الآفاق ليخدم المشروع من مواقعه وعبر منصّاته ومن خلال مهاراته في مجالات تستعصي على الحصر، ولا ينبغي أن تكون المسافات عائقاً في هذا السبيل.

- تتحقّق الإنجازات العظيمة، بعون الله، باجتماع الإيمان مع الإرادة والوعي والقوّة وحشد القدرات والإلمام بالمعارف وحُسن التنظيم وتوظيف الطاقات، وهذه متلازماتٌ لا غنى عنها لمشروعات التحرير والنهضة عموماً.
- دشّن «طوفان الأقصى» مرحلة جديدة في تاريخ الصراع، تضع الأمّة بأكملها في مواجهة استحقاق التحرُّر من العجز والقعود، والانخراط الفاعل والمتكامل في حمل مشروع التحرير والاستنهاض.
- لا يَصِحّ أن تبقى طاقات الأمّة خارج معادلة الصراع، وأن تبقى جماهيرها كمّاً معطّل الفعل منزوع الفاعلية. لا شكّ أنّ هذا الواقع يفرض الإقدام على استنفار الطاقات، وتوظيف القدرات، وتحفيز المهارات على بصيرة في المجالات جميعاً؛ لإحداث فارق نوعيّ في واقع الأمّة على طريق التحرير والنهضة.
- حريّ بصفوة المجتمعات، وذوي الخبرات، وحاملي الاختصاصات، وأصحاب المهارات، وعموم الطاقات من الأجيال جميعاً، أن ينشغلوا بالتساؤل عن موقع كلّ منهم من مسيرة الإعداد والتهيُّؤ على طريق المقاومة والتحرير والاستنهاض، وأن يبادروا بالتصرّف الواعي على هذا الأساس.
- تزداد أهمية الإعداد والتهيُّؤ إن أوتي العدوّ إمكانات متقدِّمة – كما هو حاصل – لا تسهُل مقارعتُها. يفرض هذا الواقع تحدِّيات مُضاعفة على مشروع المقاومة والتحرير والنهضة،

وفيه تنبيهٌ واجبٌ إلى دور الأمّة وقواها ومخلصيها وأحرار العالم عموماً في هذا المشروع.

- من فقه الإعداد والتهيُّؤ أن لا يُضحّى بالهدف الكبير المرسوم تحت إغراء أهداف عارضة قد تتجلّى للعيان، أو رغبةً بمكتسبات عابرة قد تلوح في الأفق.
- قد يتطلّب الإقدامُ على التصرّف الناجز في أوانه إحجاماً عن استعجال التصرُّف المتسرِّع في غير ذلك، مع احتمالِ وطأة ذلك على الأنفُس أحياناً.
- تتطلّب مقاومةُ الشعوب مُكابدةً في اجتياز العوائق، ومُجاهَدةً في احتمال المشاقّ، وهذا يقتضي تضحيات عزيزة.
- خلفَ كُلِّ إنجاز يتراءى في الميدان أشواطٌ مديدة من الكدّ والعَرَق والتضحيات، وحشد للجهود، وتركيز للقُوى، واستجماع للإمكانات المتاحة، لإنجاز الخطط المرسومة على أفضل وجه، بعد الاتِّكال على الله، واستلهام العون والمدد منه تعالى.
- التخطيط النضالي أو الثوري، يسعى بطبيعته إلى تحقيق أهداف قد لا تكون في منطق التخطيط الإجرائي المعتاد ممكنةً التحقّق أساساً. فتخطيط المقاومة يأخذ بالأدوات المباشرة على بصيرة، دون أن يغفل عن السنن الكبرى.
- من فقه السنن أن تُمنَح التهيئةُ فرصتَها، من الكمون إلى الانبعاث، مع إدراك دور الزمن في معادلة الإعداد والتهيُّؤ، وإدراك عامل التضحية والتفاني في إحداث فارق لا يتأتّى بدونها، وعامل الإقدام على قهر ما يُعدّ مُستَحيلاً مع الأخذ بالأسباب، ويبقى إعداد العدّة ضمن حدود الاستطاعة.
- لا غنى عن صدق التوجّه، واستصحاب النيّة، والاتِّكال على الله، تعالى واستلهام العون منه، فالتوفيق والنصر والغلبة من عند الله.

الإتقان والمثابرة والتفاني

على طريق المقاومة والتحرير والاستنهاض

من وجوه التحدّي في حالة فلسطين

من طبيعة مشروعات المقاومة والتحرير والنهضة في الماضي والحاضر، أنها تتطلّب مثابرةً في الانطلاق بها، وتفانياً في الدفع بها قُدُماً، وعلى سبيلها تُقدّم تضحيات عزيزة، وتُبْذَل جهودٌ وأوقات لا مناص منها، وتُستنزَف دماءٌ وموارد لا غنى عنها. على أنّ الأمر في حالة فلسطين محفوف بكثير من المكابدة، ومزيد من المشقّة، بالنظر إلى خصوصية هذا الاحتلال الاستيطاني الاستعماري، الذي غُرِس في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس؛ وتبعاً لطبيعة الصراع معه؛ وما أوتيه من إسنادٍ خارجي هائل، وقدرات فائقة بمقتضى موازين القوى الدولية المختلّة لصالحه.

ومن نافلة القوْل أنّ مشروع الاحتلال في فلسطين صُمِّم أساساً في هيئة كيان استعماري استيطاني إحلالي مُطوّر، اتّخذ صفة القاعدة الحربية العسكرية الأمنية العملاقة، المُعزّزة بأحدث قدرات التخطيط والعلم والتقنية، التي انتهت إليها الدول الغربية الداعمة له؛ على نحو أُريدَ منه أن يضمن عُلُوّه المتواصل، وتفوُّقه المستمرّ على الإقليم بأكمله. من شأن هذا أن يفرض على مشروع المقاومة والتحرير والاستنهاض أن يكون في مستوى التحدِّي الجسيم، مع الإقرار باختلال موازين القوى على جانبي الصراع ابتداءً. فلا مناص من العناية الفائقة بالإتقان، واستفراغ الجهد بمزيد من المثابرة، والتفاني في بذل ما في الوُسع. فالواقع الذي وُجد فيه مشروع المقاومة والتحرير والاستنهاض ذاته ابتداءً، هو استعلاء المحتلّ، وغلبة داعميه، وشيوع روح الانكسارات والهزائم في الأمّة بعد التجارب المريرة التي قاستها.

حريّ بالتحدِّيات الثِّقال التي يواجهها مشروع المقاومة والتحرير والاستنهاض أن تحفِّز إصرارها على التطوير والتحسين، فالشدائد المتعاظمة تصقل التجارب الرشيدة، وتوجِّهها إلى مزيد من المثابرة والإتقان والتفاني، بإرادة لا تنكسر، وعزيمة لا تتضعضع، فلا تزيدها الضربات التي تستهدفها إلاّ قوّة وعزماً وتصميماً، مع استمداد العوْن والمدد من الله تبارك وتعالى.

الإتقان في المشروعات الكبرى

أمر الله تعالى نبيّه نوحاً – عليه السلام – بأن يصنع الفُلك استعداداً للطوفان، فعكف النبيُّ الكريم على صناعة «ذات الألواح والدُّسُر» بمثابرة وتفانٍ، رغم تواطؤات التثبيط من حوْله، ثمّ أُنجِزت المهمّة العملاقة بإبحار الفُلك بحمولتها من البشر والكائنات حتى استوت على الجوديّ، وفي هذا برهانٌ على إتقان الصنعة الذي لا يتحقّق بدونه الوصول إلى برِّ الأمان.

وفي الحديث الحسَن الذي رَوَته أمّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله تعالى يُحِبُّ إذا عَمِلَ أحدُكم عَمَلاً أن يُتقنَه».

ومن شواهد الإتقان العملية ما نجده في سيرة ذي القرنين من إنجاز مشروع الردم العملاق الذي نفّذه بمعيّة القوْم الذين استنجدوا به، فنجد في كتاب الله تعالى خطوات المشروع المُتلاحقة، وتعليمات الإنجاز المرحلية، كما جرت على لسان هذا القائد الصالح في

محطّته عند أولئك القوم؛ التي أعقبت محطّات سبقتها في المثابرة الميدانية، وقد ثابر في الإشراف على المشروع، وتفانى في الدفع بتنفيذه مُستنفراً قواهم الكامنة ومحفِّزاً قدراتهم المعطّلة.

ويتجلّى التفاني في الالتزام المُخلِص للمهامّ التي يتولاّها المرء حتى آخر فرصة مُتاحة للقيام بها على أتمّ وجه، على نحو ما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وغيره عن أنس رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنْ قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل». ومن شواهد التطبيق ما نراه من حال مجاهدٍ يترجّل في الميدان في مواجهة أعتى مدرّعات العالم وهو يُدرِك أنّ تسديدته الواثقة هذه قد تكون الأخيرة في الحياة الدنيا، فهو يُوْجِزُ بإقدامه وثباته في موقفه هذا مفاهيم المثابرة والإتقان والتفاني، بعد أن تدرّب وتأهّل، مشفوعةً بالاتِّكال على الله تعالى، واستلهام العوْن والتأييد منه، كما في استذكاره قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17]، ثمّ إطلاقه تكبيرة الظفر وحمد الله تعالى على ما يتحقّق على يديْه من إنجاز.

الإتقان لا ينفي العثرات

لا يبرأ عمل البشر من نقص أو قصور أو أخطاء، وليس من شأن الإتقان أن ينفي هذا، وإنّما يوجِّه الإتقانُ إلى درء أيِّ نقص أو قصور أو خطأ ما أمكن، ثمّ استلهام العبَر إنْ وقع شيء من ذلك

تحسيناً وتجويداً. وهكذا تصير الأخطاء والعثرات، التي لا مناص منها، فرصة للاستدراك، ومدخلاً للتطوير، فمن رُشد التجارب أن تستلهم العبَر من واقعها على بصيرة، وأن تتّعظ من تجارب غيرها أيضاً.

ومن وجوه الإتقان العناية بالتجريب والمُعاوَدة، والسعي إلى التقدُّم بالممارسة على بصيرة، ولولا كبوات المحاولة وعثرات التجريب لما تحقّقت فتوح عظيمة، أو نهضت تجارب كبرى في واقع الأمم والأفراد ماضياً وحاضراً.

كانت بعض الإخفاقات في تجارب البشر بوّابة لنجاحات كبرى من بعدها، وإن حصل الإخفاق بسبب قصور في الذات أو الأداء، تعيّن الالتفات إليه والاستدراك عليه، كما في التوجيه الربّاني الواضح ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 165].

لا غنى عن المثابرة والتفاني في التحسين المستمرّ، الذي لا سبيل إليه دون إدراك وجوه قصور قائمة، وجوانب ضعف كامنة، ومظاهر خطأ أو زلل لا تبرأ التجارب البشرية منها عموماً. ولا يصحّ الركون إلى أوهام العصمة الذاتية، أو الرضوخ لإغراء تمجيد الأداء على نحو يرتفع به فوق استحقاق التمحيص والتطوير، وإقالة العثرات، وسدّ الثغرات.

أفضى التعالي على النقد الذاتي والتمحيص الرشيد ببعض التجارب إلى تكريس أخطاء الأداء، وتراكُم كبوات الممارسة، حتى صارت عندها تقاليد مستقرّة لا فكاك لها منها، فاعتراها الترهُّل، واستبدّ

بها التثاقُل، حتى استعصت على الإصلاح من بعدُ. وقد تُستعمَل مزاعم التطوير في بعضها غطاءً للإبقاء على واقعها المتكلّس هذا، أو ذريعة لإعفاء الذات من أي تصحيح أو تصويب.

الإتقان ومقتضياته

من مقتضيات الإتقانِ، المثابرةُ في تنمية المعارف والخبرات والمهارات اللازمة لأداء الأعمال، والنهوض بالمسؤوليات، ولاشكّ أنّه استحقاق مستمرّ، مع واقع التراكم المعرفي المتسارع، وانفتاح الخبرات على آفاق لم تكن بالغتها من قبل. ومن آفات الأعمال أن يركن أصحاب المسؤوليات إلى سابق تحصيلهم دون إنعاشه بما استجدّ، أو أن يكتفوا بخبرة حازوها ثم أهملوا تحديثها وتأبّوْا على تنميتها. وقد تتثاقل الخبرة بصاحبها إن لم يَسْعَ إلى تحفيزها وتثميرها أوّلاً بأوّل، ومن عواقب ذلك، أن تنتصب الخبرةُ المتكلِّسة عند بعضهم عائقاً دون استيعاب المتغيِّرات المتلاحقة من حولهم، والتعامل مع التحدِّيات المستجدّة من بين أيديهم ومن خلفهم.

وإن عكفت إدارة الموارد البشرية في المؤسسات الحديثة على تفقُّد هذا الاستحقاق في هياكلها؛ فلا غنى لمشروعات المقاومة والتحرير والاستنهاض بالأحرى، عن العناية بجدارة الفرد، وكفاءة الفريق، وفعالية المنخرطين فيها، والمتفاعلين معها عموماً؛ إنْ عزمت على النهوض بالمسؤوليات، ومواجهة التحدِّيات، وباشرت الانطلاق إلى آفاق جديدة. ومن شأن هذا أن يُوْلي مزيداً من العناية بالتأهيل والتدريب والتخصّص، في المحاضن والأطر الذاتية وخارجها.

ولا يتحقّق الإتقان في مشروعات المقاومة والتحرير والاستنهاض، كما في غيرها، دون العناية بتقسيم الأعمال، وتوزيع الأدوار، وتكامل المهامّ، وتنسيق الجهود في المستويات جميعاً، ولا ينبغي للانضباط المندوب في هذا أن يُفضي إلى عراقيل تعيق المبادرة، أو رتابة تضيق بالابتكار، أو تقاليد تخنق الإبداع. كما لا يصحّ بالعمل الجماعي أن يخنق التميُّز الفردي، أو أنْ يَضيق به ذرعاً، فاستيعاب المواصفات الخاصّة والمهارات النوعية فنّ بذاته. والأحرى بالمشروعات الرشيدة أن تستوعب طاقات جمهورها، ومخزونات مجتمعها، وموارد أمّتها، وقدرات المتضامنين معها، كلّ من موقعه. وقد سجّلت مقاومة فلسطين نماذج ملهمة على هذا الصعيد، في استقطاب أدمغة ذكيّة، وعقول متحفِّزة، ومهارات متخصِّصة في حقول شتى؛ أراد أصحابها أن يساهموا بأقساطهم في خدمة المشروع النبيل، والدفع به قُدُماً.

وكما يحصل في مفاصل التحوُّل الكبرى، فإنّ «طوفان الأقصى» حفّز الحاذقين من ذوي التخصّصات والمهارات والخبرات، وأصحاب الهِمَم العالية في نطاق الأمّة وفضاء العالم، على أن يكون لهم سهم في هذا المشروع التاريخي، الذي يرَوْن اجتراءه على دحر الاحتلال وإحقاق الحقوق وإنصاف العدالة، ويتعيّن مع هذا المتغيِّر استيعاب هذه المبادرات والطاقات، كي تجد سبيلها إلى القيام بالواجب من مختلف المواقع على بصيرة.

وإذ يُدرِك الاحتلال ما يمثِّله مسعى الإتقان المتزايد في مشروع المقاومة والتحرير من خطر عليه، فإنّه لا يكفّ عن أحابيله الدؤوبة لشلّ القدرات، وقصف الجامعات والمعاهد، وحظر المؤسسات، وتعطيل الطاقات، واستهداف الأدمغة، والفتك بذوي التخصصات

والمهارات النوعية، وفي هذا ما يؤكّد أهمية العناية الفائقة بالإنسان، عقلاً ومهارة، كي «يأخذ الكتاب بقوّة» ارتقاءً بكفاءته، وتنميةً لجدارته في الحقول المطلوبة جميعاً، مع احتضان مَن حباهم اللّه تعالى بمواهب مخصوصة، وقدرات نوعية في شتى المجالات العلمية والعملية، النظرية والتطبيقية؛ عظيمها ودقيقها.

ومن ثمرات مشروع المقاومة والتحرير الذي يأخذ بهذه الأسباب أنّه يستنهض مجتمعه، ويحفّز أمّته، ويُلهِم عالمَه، فهو يستوي في ضمن حدود الوسع المتاحة شروط نهضة في دروب وَعِرَة، تبشّر بالخير لشعبها وأمّتها، إن واصلت استباق الخيرات بلا هوادة. فالمقاومة الرشيدة ترتقي بمجتمعها علماً وعملاً، اهتماماتٍ ومهارات، وهي تحفّز إصراره على مواصلة التعمير بعد جولات التدمير، وتعويض التضحيات المتواصلة من الأدمغة والكفاءات والتخصصات والمهارات، على طريق ذات الشوكة.

الطوفان وتجويد الأداء

لاريب أنّ الصراع انتقل إلى طور جديد مع «طوفان الأقصى»، ما ألجأ الاحتلالَ وداعميه إلى استنفار قُواهم، وتحريك مُخطّطاتهم على شتّى الصُّعد. ولا ينبغي مع هذا الطوْر أن يكون للتراخي، أو التسويف، أو التهاون في استباق الخيّرات والنهوض بالأعباء والوفاء بالمسؤوليات، أيُّ سبيل إلى صفوف المنخرطين في مشروع المقاومة والتحرير والاستنهاض؛ على تنوّع مواقعهم، وتعدّد اختصاصاتهم، وتفرّق بيئاتهم. ولاشكّ أنّ استشعار المسؤولية الجماعية والفردية

ممّا يحفِّز على المثابرة والإتقان والتفاني، وهذه مسؤولية يعزِّزها الوازع الإيماني في تأدية الأمانة، وفي ما رواه مالك في الموطّأ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته».

لا غنى لمشروع المقاومة والتحرير والاستنهاض في طوْره الجديد عن مزيد من تراكم الجهود، وتفعيل الطاقات، وتجويد الأداء في الحقول جميعاً، ومن عواقب أيِّ إهمال أو تقاعس أو تسويف أن تتبدّد فُرَصٌ، وتضيع التزامات، فتتثاقل المسيرة، ويتباطأ الركْب، ومن شأن بعض التروس الدوّارة إنْ تعطّلت أن تُربك الأداء العامّ في مجمله، وتتأخّر به عن مقصده.

ولا يخفى أنّ المثابرة والإتقان والتفاني من ثمرات الإخلاص لله تعالى في أداء الأعمال، واحتمال المشاقّ من شتى المواقع، دون أن ينتظر المرءُ في مسعاه المبارك جزاءً من البشر أو شكوراً، ويكفي العبدَ الفوزُ برضوان الله تعالى ومحبّته: ﴿وَأَحسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلمُحسِنِينَ﴾ [البقرة: 195].

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 105].

مفاهيم وخلاصات

- على مشروع المقاومة والتحرير والاستنهاض أن يكون في مستوى التحدِّي الجسيم، الذي يتمثّل باختلال موازين القوى على جانبي الصراع. فلا مناص من العناية الفائقة بالإتقان، واستفراغ الجهد بمزيد من المثابرة، والتفاني في بذل ما في الوسع.
- لا غنى للمشروعات الكبرى عن الإتقان، أمّا التحدِّيات والشدائد التي يواجهها مشروع المقاومة والتحرير والاستنهاض، فينبغي أن يحفِّز الإصرار على التطوير والتحسين، بإرادة لا تتكسر، وعزيمة لا تتضعضع، مع استمداد العوْن من الله تعالى.
- يقتضي التفاني التزاماً مُخلِصاً للمهامّ التي يتولاّها المرء، حتى آخر فرصة مُتاحة للقيام بها على أتمّ وجه.
- لا يبرأ عمل البشر من نقص أو قصور أو أخطاء، وليس من شأن الإتقان أن ينفي هذا، وإنّما يوجِّه الإتقانُ إلى درء أيِّ نقص أو قصور أو خطأ ما أمكن، ثمّ استلهام العبَر إنْ وقع شيء من ذلك تحسيناً وتجويداً.
- الأخطاء والعثرات فرصة للاستدراك والتطوير، فمن رُشد التجارب أن تستلهم العبَر من واقعها على بصيرة، وأن تتّعظ من تجارب غيرها أيضاً. ومن وجوه الإتقان العناية بالتجريب والمُعاوَدة، والسعي إلى التقدُّم بالممارسة على بصيرة.
- لولا كبوات المحاولة وعثرات التجريب، لما تحقّقت فتوحٌ عظيمة، أو نهضت تجارب كبرى في واقع الأمم والأفراد ماضياً وحاضراً. كانت بعض الإخفاقات في تجارب البشر بوّابة لنجاحات كبرى من بعدها، وإن حصل الإخفاق بسبب قصور في الذات أو الأداء تعيّن الالتفات إليه والاستدراك عليه.

- لا غنى عن المثابرة والتفاني في التحسين المستمرّ، الذي لا سبيل إليه دون إدراك وجوه قصور قائمة، وجوانب ضعف كامنة، ومظاهر خطأ أو زلل لا تبرأ التجارب البشرية منها عموماً.
- أفضى التعالي على النقد الذاتي والتمحيص الرشيد ببعض التجارب إلى تكريس أخطاء الأداء، وتراكُم كبوات الممارسة.
- من مقتضيات الإتقان، المثابرة في تنمية المعارف والخبرات والمهارات اللازمة لأداء الأعمال، والنهوض بالمسؤوليات، ولاشكّ أنّه استحقاق مستمرّ، مع واقع التراكم المعرفي المتسارع، وانفتاح الخبرات على آفاق غير مسبوقة.
- من آفات الأعمال الركون إلى سابق التحصيل دون إنعاشه بما استجدّ، أو الاكتفاء بخبرة معيّنة ثم إهمال تحديثها، فقد تتثاقل الخبرة بصاحبها إن لم يَسْعَ إلى تحفيزها وتثميرها أوّلاً بأوّل.
- لا غنى لمشروعات المقاومة والتحرير والاستنهاض عن العناية بجدارة الفرد، وكفاءة الفريق، وفعالية المنخرطين فيها، والمتفاعلين معها عموماً.
- يتطلّب النهوض بالمسؤوليات ومواجهة التحدِّيات ومباشرة الانطلاق إلى آفاق جديدة؛ إيلاء مزيد من العناية بالتأهيل والتدريب والتخصّص، في المحاضن والأطر الذاتية وخارجها.
- لا يتحقّق الإتقان دون العناية بتقسيم الأعمال، وتوزيع الأدوار، وتكامل المهامّ، وتنسيق الجهود في المستويات جميعاً، ولا ينبغي للانضباط المندوب في هذا أن يُفضي إلى عراقيل تعيق المبادرة، أو رتابة تضيق بالابتكار، أو تقاليد تخنق الإبداع.
- لا يصحّ بالعمل الجماعي أن يخنق التميُّز الفردي، أو أنْ يَضيق به ذرعاً، فاستيعاب المواصفات الخاصّة والمهارات النوعية فنّ بذاته.

- الأحرى بالمشروعات الرشيدة أن تستوعب طاقات جمهورها، ومخزونات مجتمعها، وموارد أمّتها، وقدرات المتضامنين معها، كلّ من موقعه.
- يتعيّن استيعاب المبادرات الحميدة، والطاقات الواعدة، كي تجد سبيلها إلى القيام بالواجب من مختلف المواقع على بصيرة، واحتضان ذوي المواهب المخصوصة، والقدرات النوعية في شتى المجالات.
- مشروع المقاومة والتحرير عندما يأخذ بهذه الأسباب، فإنّه يستنهض مجتمعه، ويحفِّز أمّته، ويُلهِم عالمَه، والمقاومة الرشيدة ترتقي بمجتمعها وتحفِّز إصراره على مواصلة التعمير بعد جولات التدمير، وتعويض التضحيات المتواصلة من الأدمغة والكفاءات والتخصصات والمهارات.
- لا ينبغي أن يكون للتراخي، أو التسويف، أو التهاون في استباق الخيِّرات، والنهوض بالأعباء والوفاء بالمسؤوليات، أيُّ سبيل إلى صفوف المنخرطين في مشروع المقاومة والتحرير والاستنهاض؛ على تنوّع مواقعهم، وتعدّد اختصاصاتهم، وتفرّق بيئاتهم.
- استشعار المسؤولية الجماعية والفردية ممّا يحفِّز على المثابرة والإتقان والتفاني، وهذه مسؤولية يعزِّزها الوازع الإيماني في تأدية الأمانة. فالمثابرة والإتقان والتفاني من ثمرات الإخلاص لله تعالى، في أداء الأعمال، واحتمال المشاقّ من شتى المواقع.
- لا غنى لمشروع المقاومة والتحرير والاستنهاض في طوْره الجديد عن مزيد من تراكم الجهود، وتفعيل الطاقات وتجويد الأداء في الحقول جميعاً.
- من عواقب أيِّ إهمال أو تقاعس أو تسويف أن تتبدّد فُرَصٌ، وتضيع التزامات، فتتثاقل المسيرة ويتباطأ الركْب.

المكابدة والاستبشار

على طريق الانتصار

الاستمداد المعنوي يرجّح الكفّة

من خصائص مشروعات المقاومة والتحرّر أنّها تخوض صراعاً لا تتكافأ أطرافه بالمعايير المادية المجرّدة، فتسعى إلى ردم الفجوة المادية بمَدَدٍ معنوي، لأنّ كسبها صراع الإرادات يعينها على الصمود والاستعصاء، ويؤهِّلها لكسر شوكة العدوّ وإنجاز الانتصار، بإذن الله تعالى. لا شيء في هذا يعدِل إيمان المؤمنين ويقينهم بالله تعالى، فإنّ أمرهم كلّه لهم خير، وإن استوَت الآلام بين الخصمَيْن رجّح الإيمانُ والاحتسابُ كفّة المؤمنين الثابتين على الحقّ، الذين يتطلّعون إلى ثواب الآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء: 104].

تمنح المقاومة البُشرى لشعبها وأمّتها بالانتصار في الدنيا، وبالفوز برضوان الله تعالى في الآخرة، فتهون التضحيات المبذولة على الدرب، ويتسامى الناس فوق أوجاعهم المتراكمة، وخسائرهم الفادحة. ليس من نافلة الأمر أن تحرص المقاومة على إبقاء جذوة الأمل بالتحرير متّقدة في الأذهان والوجدان، وهي إذ تضع القدس في مركز خطابها، والمسجد الأقصى في صميم شعارها، ومفتاح العودة في وعي جماهيرها؛ فإنّها ترمز بهذا أيضاً إلى مآل الانتصار الذي تُهيِّئ له الأسباب، وتحشد له القوى، رغم وعورة الطريق ووفرة الأشواك.

ليس وعدُ التحرير بُشرى معنوية وحسب؛ ففي فضائه يتحرّك مشروع المقاومة بتصميم دؤوب لا يُخطئ الوجهة، ولا يتنازل عن أهدافه

الكبرى، رغم الضغوط الشديدة والمساومات القاهرة. وكما كان للمخطّط الصهيوني رؤيته العدوانية المبكِّرة بالسيطرة الاستعمارية التوسعية على البلاد، والتمهيد لمشروع النكبة والاقتلاع؛ فإنّ لمشروع المقاومة رؤيته الواعدة، التي تنفتح على أفق التحرير بإذن اللّه، وهي تراه ببصيرتها الثاقبة قريباً، وإنْ عدّه القانطون العاجزون بعيداً.

اختبار الإرادة

يفرضُ الاحتلال والعدوان والهيمنة واقعاً قهرياً مستعصياً، يغوي الشعوب المُستضعَفة بالركون إلى التثبيط عن مقاومته، والتيئيس من مواجهته، فلا عجب أن يكون اختبار الإرادة أوّل امتحان يواجه الشعوب الطامحة إلى كسر قيودها، وانتزاع حريّتها، وفرض إرادتها. ولن ينفكّ المحتلّ المعتدي عن وحشيّته المعهودة في استهداف الأهالي في كلِّ جولة، وتدمير مقوِّمات حياتهم كلّما تصاعدت المقاومة في وجهه، كي يكسر إرادة الشعب، ويحطّم صموده النفسي، ويدفعه إلى القنوط من أي مسعى للمقاومة والتحرير.

إنّ النجاح في اختبار الإرادة يفرض اقتحام العقبات المعنوية تمهيداً لاقتحام العقبات المادية. ولا ريب أنّ الإصرار على المقاومة يعني التحرُّر من ثقافة القنوط التي تركن إلى عجز مُهيْمن على قومها، ولسان حال القانطين المتثاقلين إلى الأرض: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾، وجواب هذا التقاعس واضحٌ وصريح: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (250) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251) ﴾ [سورة البقرة: 249-251].

ومن شواهد الانتصار في صراع الإرادات أن تصير الخسائر وقوداً للثورة والتأجّج، وأن يُحفِّز ارتقاء الشهداء على مزيد من الإقدام والتضحية. ومن شأن قوّة الإرادة والتصميم أن تُحيل المحنة إلى منحة، بعون الله وتوفيقه، فالحصار الخانق، وسدّ منافذ التزوّد بالإمدادات التي يحتاجها مشروع المقاومة، كان محفِّزاً إضافياً على الاجتهاد والإبداع ضمن حدود الممكن، فكان حرمان الشعب الفلسطيني من حقِّه في الحصول على الأسلحة والذخائر من مواردها المعهودة، دافعاً ومحرِّضاً على الابتكار المتواصل، والتطوير المستمرّ بإمكانات ذاتية، فظهرت أجيال من الأسلحة والذخائر والمقذوفات والعبوات والمُسيّرات من مختبرات المقاومة، وما بدا بدائياً أو متواضعاً في البدايات، تأتّى له أن يُثخِن في العدوّ ويربكه في أطوارٍ لاحقة. وكان خلوّ بيئة قطاع

غزة من التضاريس والعوائق الطبيعية الملائمة لعمل المقاومة، باعثاً على الاجتهاد والإبداع في شقِّ الخنادق والأنفاق، التي تجاوزت في مواصفاتها خبرات الأمم في حروب المقاومة والتحرير في بيئات أخرى.

استحضار البشرى خلال الاشتباك مع الواقع

على القيادة التي تشتبك مع تعقيدات الواقع أن تحرص على انفتاح فسحة الأمل أمام الجماهير، كي تتّسع الرؤية لاستيعاب البُشرى وإن بَعُد منالُها. ولا يأتي الاستبشار الرشيد حالماً منصرفاً عن الواقع، فهو أملٌ يعزِّزه العمل، وطموحٌ يواكبه الكفاح، آية ذلك أنّ جاءت البشرى بالفتوح الكبرى، وانهيار إمبراطوريات العصر في لحظة مكابدة شاقّة، ومجاهدة عسيرة محفوفة بالتهديدات الماحقة؛ هي غزوة الخندق. فقد كان اجتماع الأحزاب على دولة المدينة في السنة الخامسة للهجرة اختباراً جسيماً لمجتمع المؤمنين، وباشرت القيادة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، الأخذ بالأسباب وتوجيه المجتمع إلى التصرّف الجماعي الجادّ الذي يستأهله الخطر الداهم. تقدّم الرسول ﷺ أصحابه رضوان الله عليهم في حفر الخندق، وكابد معهم مشقّة الجوع، فسابقوا الزمن لإنجاز التحصين الدفاعي العملاق، مع بثّ روح عالية لتثبيت المعنويات في مجتمع المدينة الذي ضربه الجوع الشديد، واستشعر التهديد الوجودي الوشيك. كان النبي الكريم عليه الصلاة والسلام يسكب السكينة في قلوب المؤمنين، ويحفِّز همّتهم على مكابدة المشاق. ومن

ذلك ما جاء في صحيح البخاري عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنّه قال: كُنّا مع رسول الله ﷺ في الخندق، وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتادنا، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم لا عيْش إلاّ عيْشَ الآخرة، فاغفر للمهاجرين والأنصار».

إنّ للبشارة وقعها الخاصّ عندما تأتي في قلب المحنة، فمن المواقف المشهودة في حفر الخندق ما جرى عند التعامل مع عائق عجز الصحابة عن اجتيازه، كما جاء في الرواية. فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول، فاشتكينا إلى رسول الله ﷺ، فجاءنا فأخذ المعول - أي: الفأس - فقال: باسم الله، فضربها ضربة فكسر ثلثها، فكان أقوى الناس عليه الصلاة والسلام، قال: فكسر ثلثها وقال: الله أكبر! أُعطيْتُ مفاتح الشام، فلما كسر النبي الثلث ظهرت الشام، فقال النبي: الله أكبر! أعطيتُ مفاتيح الشام، والله! إني لأُبصِرُ قصورها الحمر الساعة، ثم ضرب الثانية فقطع الثلث الآخر فقال: الله أكبر! أعطيت مفاتيح فارس، والله! إني لأبصر قصر المدائن الأبيض، ثم ضرب الثالثة وقال: باسم الله. فقطع بقية الحجر وقال: الله أكبر! أعطيت مفاتيح اليمن، والله! إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة».

ما أحوج الجماهير وهي تكابد المشاقّ إلى البشائر، ولا عجب أن تحرص المقاومة على أن تزفّ لشعبها وأمّتها من أنباء الميدان ما يُثلج الصدور، ويشدّ الظهور ويقوّي العزائم، ومن توفيق الله تعالى أن يهيِّئ لذلك الأسباب في أحلك الظروف التي تشتدّ على الناس. قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ

وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: 126]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 10].

ثمّ إنّ بثّ البشرى باقتدار جُهدٌ يشتبك مع الحرب النفسية التي تسدّد إلى دعاية العدوّ وأحابيل المرجفين سهامها بعناية. فلا عجب أن يقارع المجاهدون عدوّ الله وعدوّهم بآلة الاشتباك وآلة التصوير معاً، فإنّ الأولى تُحسِن الاستهداف، والثانية تنقُل مشهد الإنجاز الميداني إلى جماهير المقاومة، فتستبشر به، وتُثقِل به كاهل العدوّ، وتفتك بمعنويّاته، وتُنذره بسوء المصير.

وممّا يشحذ المعنويات أن تُرفَع عن عاتق المكلومين وطأةُ الإحساس المرير بالخذلان، فالناسُ إنْ أدركت أنّ الجماهير تخرج حول العالم لنُصرتها، وترفع صوْتها في مساندة قضيّتها، والتعريف بمظلمتها، كان لذلك أثره في شدّ أزرها، والتخفيف عنها. تشير هذه الحقيقة إلى أهمية تجويد الجهود الشعبية والإعلامية الواعية، التي تحفِّز الجماهير على التسامي فوق جراحها وآلامها، وتعزِّز موقفها المعنوي في المواسم العصيبة.

الاستبشار الرشيد

من عظات الماضي أنّ بعض التجارب عمدت إلى رفع معنويات جماهيرها بالانفصال عن الواقع، وتضخيم الوقائع، واختلاق الإنجازات، وتزييف الحقائق وبثّ الأوهام. سعت تلك الجهود الدعائية الساذجة إلى افتعال فقاعات عابرة، سرعان ما انقشعت

عن واقع مرير هوى بمعنويات جماهيرها إلى الحضيض. وإذ يسعى مشروع المقاومة إلى بثّ روح الاستبشار لدى جماهيره، فإنّه يدرك خلال ذلك أهمية التحلّي بالموثوقية والمصداقية والواقعية.

تدرك المقاومة أنّ الانتصار في صراع الإرادات له مقتضيات؛ منها:

- تعزيز الثقة بالمقاومة ونهجها وخياراتها، وأنّها من الشعب وإليه، وتعزيز حسّ الانتماء الشعبي إلى القضية العادلة، والتفاف الجماهير حول مشروع المقاومة.
- تأكيد مصداقية المقاومة، من خلال الحرص على دقّة بلاغاتها، وتحاشي التهويل والتضخيم والتزييف.
- تمكين جماهير المقاومة من مواكبة أدائها وإنجازاتها، ومعاينتها قدر الإمكان عبر البلاغات والصور والمَشاهد والروايات المنقولة.
- اعتماد خطاب تحرّري طموح وواعد، دون أن ينفكّ عن مراعاة الواقع السائد، وإدراك العوائق القائمة.
- السعي ما أمكن في رعاية احتياجات الشعب، وتفقّد أحواله، وتدبير الحلول، وتحفيز اعتماد المجتمع على الذات.
- تحفيز ثقافة المقاومة في المجتمع والجماهير، ونشر فنونها وآدابها، وتعزيز الأمن الفكري في مواجهة الأفكار والنزعات المضادّة.
- تعزيز الروح المعنوية في النوازل والمنعطفات الصعبة، ومعالجة أي أزمات ميدانية أو تواصلية قد تطرأ لا قدّر الله.
- التصدّي لدعاية الاحتلال وأحابيل المرجفين، وإحباط مساعي التضليل والتأثير السلبي على الجبهة الداخلية.

مفاهيم وخلاصات

- كسب صراع الإرادات يُعين على الصمود والاستعصاء، ويؤهِّل لكسر شوكة العدوّ وإنجاز الانتصار، بإذن اللّه تعالى.
- تمنح المقاومة البُشرى لشعبها وأمّتها بالانتصار في الدنيا، وبالفوز برضوان اللّه تعالى في الآخرة، فتهون التضحيات المبذولة على الدرب، ويتسامى الناس فوق أوجاعهم المتراكمة، وخسائرهم الفادحة.
- يتحرّك مشروع المقاومة في فضاء وعد التحرير بتصميم دؤوب لا يُخطئ الوجهة، ولا يتنازل عن أهدافه الكبرى، رغم الضغوط الشديدة والمساومات القاهرة.
- اختبار الإرادة أوّل امتحان يواجه الشعوب الطامحة إلى كسر قيودها، وانتزاع حريّتها، وفرض إرادتها.
- النجاح في اختبار الإرادة يفرض اقتحام العقبات المعنوية تمهيداً لاقتحام العقبات المادية، والإصرار على المقاومة يعني التحرُّر من ثقافة القنوط.
- من شواهد الانتصار في صراع الإرادات أن تصير الخسائر وقوداً للثورة والتأجّج، وأن يُحفِّز ارتقاء الشهداء على مزيد من الإقدام والتضحية.
- على القيادة التي تشتبك مع تعقيدات الواقع أن تحرص على انفتاح فسحة الأمل أمام الجماهير، كي تتّسع الرؤية لاستيعاب البُشرى وإن بَعُد منالُها.

- لا يأتي الاستبشار الرشيد حالماً منصرفاً عن الواقع، فهو أملٌ يعزِّزه العمل، وطموحٌ يواكبه الكفاح.
- للبشارة وقعها الخاصّ عندما تأتي في قلب المحنة، فما أحوج الجماهير وهي تكابد المشاقّ إلى ما يرفع روحها المعنوية.
- بثّ البُشرى باقتدار جُهدٌ يشتبك مع الحرب النفسية التي تسدّد إلى دعاية العدوّ وأحابيل المرجفين سهامها بعناية.
- من الأهمية بمكان تجويد الجهود الشعبية والإعلامية الواعية، التي تحفِّز الجماهير على التسامي فوق جراحها وآلامها، وتعزِّز موقفها المعنوي في المواسم العصيبة.
- عمدت بعض التجارب إلى رفع معنويات جماهيرها بالانفصال عن الواقع، وتضخيم الوقائع، واختلاق الإنجازات، وتزييف الحقائق، وبثّ الأوهام، ثم انقشع ذلك كلّه عن واقع مرير هوى بمعنويات جماهيرها إلى الحضيض.
- يسعى مشروع المقاومة إلى بثّ روح الاستبشار لدى جماهيره، وهو يدرك خلال ذلك أهمية التحلِّي بالموثوقية والمصداقية والواقعية.
- من مقتضيات الانتصار في صراع الإرادات تعزيز الروح المعنوية في النوازل والمنعطفات الصعبة، وإحباط مساعي التضليل والتأثير السلبي على الجبهة الداخلية.

المقاومة وحاضنتها الشعبية

لا تخفى أهمية الحاضنة الشعبية في تجارب المقاومة وسِيَر الثورات وحركات التحرّر ماضياً وحاضراً، وقد يكون دور هذه الحاضنة حاسماً في مخاضاتها. ولا عجب أن كرّست العديد من تجارب المقاومة والثورة والتحرّر جهوداً دؤوبة لتوثيق الأواصر مع مجتمعها، وتهيئة الحاضنة الشعبية على الوجه الأمثل.

بل إنّ الحاضنة الشعبية ظلّت مطلباً عزيزاً بالنسبة لتجارب الإصلاح والتغيير عبر الاجتماع الإنساني، وثمّة إشارات واضحة فوق هذا إلى دور الحاضنة المجتمعية في السيرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، ابتداءً من البعثة النبوية وصدر الإسلام، مروراً بالمجتمع المُصابر تحت الحصار الخانق في شِعْب أبي طالب، ثمّ مجتمع المدينة النبوية المُتآزر بين الأنصار والمهاجرين. وفي هذه المحطّات وما بينها كثير من الدروس والعِبَر، التي تُستلهَم في أهمية الحاضنة الشعبية، وتعزيز أواصرها، وتصليب «الجبهة المجتمعية»، وكيفية التعامل مع التحديات الداخلية المتعدِّدة. وقد عاش الأنبياء مع أقوامهم وخالجوا الحياة اليومية للمجتمعات، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ الفرقان 7، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ الفرقان 20. وقد وفّرت الحاضنة المجتمعية

حماية للنبيّ شعيب عليه السلام من طغيان قوْمه، على نحو ما يُستلهَم من قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ سورة هود 91.

أهمية الحاضنة الشعبية

تتأكّد أهمية الحاضنة الشعبية بالنسبة للمقاومة، بلا ريْب، ذلك أنّ:

- المقاومة يُفترَض بها أن تكون من الشعب وإليه أساساً، على مستوى الفكرة والمشروع والصيرورة، كما يُرجى أن تجد الجماهير في مشروع المقاومة الخيار الموثوق، الذي يحمل آمالها، ويعبِّر عن تطلّعاتها.
- المقاومة يُفترض بها أن تكون حالة شعبية، تتخلّل أوساط الشعب وفئاته وطبقاته ونطاقات انتشاره، وإن تركّزت خلال أطوار معيّنة ضمن أوساط ومستويات أكثر من غيرها.
- الشعب هو مورد المقاومة البشري، ورافدها المتجدِّد من الطاقات والخبرات والكفاءات.
- المقاومة بحاجة مستمرّة إلى غطاء شعبي، ودعم مجتمعي، ومساندة جماهيرية من شتّى الأشكال.
- المقاومة تسعى في حمل تطلّعات الشعب والدفاع عن حقوقه وحماية أمنه؛ والمجتمع يوفِّر رافعة شعبية للمقاومة تلتفّ حولها، وتتقدّم بها، وتحمي ظهرها.

- للمقاومة ضرائبها وأعباؤها التي تقع على عاتق الشعب، وعادةً ما تُبتزّ المقاومة بإنزال ضغوط قاهرة على مجتمعها، ومن الضرورة بمكان أن تتهيّأ حاضنة شعبية لاحتمال هذا الاستحقاق في شتّى الظروف.

حالة الحاضنة الشعبية

تتعدّد نماذج الحاضنة الشعبية حسب البيئات والتجارب، من حيث الامتداد عبر المجتمع، أو الانغلاق الفئوي على أوساط محددة، فلا تأتي هذه الحاضنة على ضرب واحد، وقد تتوفّر في بعض الحالات حاضنة شعبية لصيقة بالمشروع، تكون أكثر انخراطاً فيه من غيرها، بينما يجدر بمشروع المقاومة أن يستوعب الشعب والجماهير عموماً ضمن مفهوم الحاضنة الشعبية، مع ما يترتّب على ذلك من أدوار واستحقاقات، ولا يتناقض ذلك مع خصوصية الانتماء إلى أطر معيّنة في المشروع.

من المؤشّرات على واقع الحاضنة الشعبية

- مدى شيوع ثقافة المقاومة والتضحية لدى الجماهير، وعُمق تجذّرها في المجتمع، ورسوخ القناعة بنهجها، والاستعداد لاحتمال أعباء وأثمان على طريقها.
- مستوى الوعي الجماهيري بواقع القضية وأولويّات المقاومة والتحدِّيات التي تكتنفها.

- مدى مناعة المجتمع والشعب والجماهير في مواجهة محاولات الاختراق، وأحابيل الإرجاف، ومساعي شقّ الصفوف، ومُراوغات الحرب النفسية.
- كفاءة أوعية العمل المجتمعي والشعبي والجماهيري الرافدة لمشروع المقاومة، وتنوّعها وانتشارها في عموم الفئات والأوساط والمناطق.
- مدى اندماج بُنية المقاومة ضمن النسيج المجتمعي على نحو يستعصي على استئصالها.
- قدرة المجتمع على رفد مشروع المقاومة باحتياجاته البشرية المتنوِّعة على نحو متجدِّد.
- موقع قيادات المجتمع ووجهائه والشخصيات العامّة وأوساط الصفوة من المقاومة، ومدى تأييدها أو تفهّمها لمشروعها ودورها، وأواصر المقاومة مع هذه القيادات والشخصيات والنُّخَب.
- مدى استشعار الانتماء إلى مشروع المقاومة وتأييد خياراته في المحطّات المفصلية.
- نضوج مبادرات مجتمعية وشعبية وجماهيرية داعمة للمقاومة، أو تساهم في رفد مشروعها بأي شكل من الأشكال.
- مدى الالتزام الجماهيري بنداءات المقاومة ودعواتها، والانضباط بتوجيهاتها وتعليماتها.

وما كان الاحتلال الصهيوني ليلجأ إلى خيار الإبادة الجماعية، وجرائم الحرب الوحشية في عدوانه المتجدِّد على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة؛ إلاّ لأنّه – مع عوامل ومعطيات أخرى – يُدرك مناعة هذه الحاضنة الشعبية، ومتانة وشائج المقاومة مع مجتمعها، وأنّ هذا الشعب مرتبط بمقاومته واقعياً ومعنوياً وثقافياً وعضوياً؛ فكتائب المقاومة تشكّلت من أبناء هذا الشعب الذي دفع بفلذات أكباده وعصارة أدمغته إلى هذا المشروع، على طريق التحرير والعودة. ومشروع المقاومة استوعب طلائع متقدمة من عقول هذا الشعب وكفاءاته. لا عجب أن يُقدِّم الشعب المُقاوِم تضحيات غالية على هذا الطريق، وأن يعتدّ بإنجازات المقاومة في الميدان بصفتها مكتسباً جمعياً ورصيداً شعبياً، وأن يحتمل أعباء قاهرة تُوقَع عليه جراء ذلك.

مسارات المقاومة ومسارات الحياة

إنّ الوعي بأهمية الحاضنة الشعبية يفرض السعي قدر الإمكان، إلى الموازنة والانسجام والتضافر بين مسارات المقاومة ومسارات الحياة، دون أن يعني ذلك قعود المقاومة عن أدوارها التاريخية الجوهرية التي انتدبت ذاتها لها.

ومن نافلة القول أنّ المجتمعات تُمارِس المقاومة بصُورها وتعبيراتها المتعدِّدة ضمن مسالك حياتها، الميدانية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والإعلامية والثقافية وغير ذلك. لكنّ المقاومة وإن كانت لها ضريبتها وتترتّب عليها أثمان شاقّة وتضحيات

غالية، خاصّة عندما تنجح في الإثخان في العدوّ؛ فإنّها تأخذ بعين الاعتبار أهمية التخفيف عن شعبها ومجتمعها قدر الإمكان، وتُعنى باحتياجاته الاقتصادية والاجتماعية، ومتطلّباته المعيشية والتنموية في شتى المجالات.

شراكة .. لا زبائنية

إنّ العناية الرشيدة بالحاضنة الشعبية، وتمتين الأواصر معها، تقتضي تنمية روح الشراكة لدى المجتمع والجماهير في مشروع المقاومة، وحمّل هذا الهمّ العامّ، وتعزيز الوعي العام به وبالاستعداد للتضحية في سبيله. فالتهيئة لحمل الأعباء التي تترتّب على مجتمع المقاومة، لا تكون من خلال تملُّق اهتمامات الجماهير شكلياً على طريقة الحملات الانتخابية الجوفاء مثلاً، كما لا تتحقّق من خلال تقاليد «زبائنية» تُقدِّم مصالح وخدمات للمجتمع لمجرّد استقطابه وكسب ولائه. فالحاضنة الشعبية الحقّة تقوم على الشراكة والتعاضُد، لا على التبعية والزبائنية.

الانخراط الواسع وتشاطُر الأعباء في المجتمع المقاوم

من سمات المجتمع المقاوم أنه يتشاطر الأعباء، كي لا يحتملها قليل من الناس دون غيرهم. إنّ تنمية فعالية المجتمع المقاوم تتطلّب

تيسير سبُل الانخراط والمساهمة في مسارات المقاومة، ولو بقليل من الجهود والمساهُمات. يتطلب هذا تنويع الخيارات العملية المتاحة أمام الأفراد والمجموعات، كي تُتاح المساهمة ولو باليسير، الذي يغدو هائلاً بإذن الله من خلال مراكمة الكمّ المنخرط. فلا غنى للمجتمع المقاوم عن مساهمات الكمّ، أي المساهمة من جُملة المجتمع، ومن المحذور التركيز على كمّ المساهمات، أي المساهمة بالجملة من جهود قليلة معزولة عن الجماهير، لأنّ الأساس هو إشراك المجتمع أو الشعب عموماً في أدوار المقاومة، واحتمال أعبائها. كما ينبغي تهيئة المجتمع عموماً لاحتمال أعباء قاهرة قد تقع عليه، من خلال تعزيز قيَم البذل والتضحية والاحتساب، علاوة على السعي في توفير المتاح من مقوِّمات الصمود الاجتماعية والاقتصادية والمعنوية.

تحدِّي الظروف القاهرة والضاغطة

تواجه الحاضنة الشعبية ظروفاً قاهرة أو ضاغطة، يتجلّى بعضها في بيئات معيّنة أكثر من غيرها. يأتي من ذلك مثلاً: الحصار الخانق، وحرب الإبادة، والتدمير الواسع، والتشريد والنزوح، والإفقار والتجويع، وقطع موارد الرزق، وشحّ الموارد، وسلب الأراضي، وتدمير المنازل، واختطاف أرباب الأُسَر، والضغوط المركّبة الناجمة عن واقع الاحتلال والعدوان والاستيطان والحصار والأَسْر، ومفعول دعاية التثبيط ونزعات التيئيس، ومحاولات ابتزاز المجتمع واختراقه، والسياسات والإجراءات التي تهدف

للتضييق على فرص السكن وكسب الرزق والوجود على الأرض. تُضاف إلى ما سبق الحالة الطاردة التي تضغط على تجمعات اللاجئين والواقع الاجتماعي والاقتصادي والأمني الهشّ في بعض المخيمات، وتأثير الأزمات الإقليمية على بعض هذه التجمّعات، والتضحيات بمكتسبات معيشية ووظيفية متعدِّدة، وغير ذلك. إنّ مجمل هذه الظروف وغيرها كثير، تُمثِّل بلا شكّ تحدِّيات مركّبة بالنسبة للمقاومة وحاضنتها الشعبية في الداخل والخارج.

كسب العقول والقلوب، وتعزيز ثقة المجتمع والجماهير بالمقاومة

تنبثق المقاومة في الأساس من حالة وعي، ومن استحقاقات العناية بحاضنتها الشعبية وتحصين «الجبهة الداخلية» كسب العقول والقلوب، وتعزيز ثقة المجتمع والجماهير بالمقاومة، على مستوى المشروع عموماً، وفي ما يتعلّق بتوجّهاته وخياراته وقراراته وأعبائه تفصيلاً.

يتطلّب ذلك:

- تعزيز حالة الوعي بأهمية المقاومة، وضرورتها بالنسبة للقضية والشعب والأجيال.
- الأسوة الحسنة على مستوى القيادة والحضور عموماً، مع البذل والتضحية وتمثُّل القيم وتجسيد المبادئ في الواقع.
- معايشة المجتمع والقرب من الجماهير، وحُسن التواصل مع الشعب.

- إظهار الحرص الصادق على مصالح الناس، والسعي في رعايتها وتأمينها قدر المستطاع.
- اعتماد خطاب تواصلي فعّال؛ لكسب التفهُّم، وتعزيز القدرة الإقناعية بالوجهة والخيارات والقرارات.
- كفاءة الجهود الإعلامية والثقافية والجماهيرية على مستوى الأدوات والوسائل والمضامين.
- رفع الجاهزية المجتمعية لاحتمال الأعباء والأثمان التي تترتّب على خيار المقاومة.
- درء موارد سوء الفهم المحتملة ومكامن الشبهات عن المشروع.
- التصدِّي الفعّال لأحابيل الدعاية المضادة والحرب النفسية، التي تستهدف النيل من إرادة الشعب ومعنويات الجماهير.
- المعالجة المسؤولة للأزمات أو أيّ إشكالات قد تطرأ في العلاقة مع مكوِّنات المجتمع.

استنهاض الحاضنة الشعبية

حريّ بمشروع المقاومة أن يحرص على تنمية واقع الحاضنة الشعبية واستنهاضها، ويشمل هذا على سبيل المثال:

- تنمية الوعي الجماهيري العامّ، بما يزيد القابلية للتعامل مع أولويات المرحلة وتحدِّيات الواقع.
- تعزيز روح الانتماء إلى مشروع المقاومة والتحرير، وقيَم البذل والتضحية والثبات والصبر والاحتساب على طريقه.

- العناية بالمحاضن التكوينية والتأهيلية للأجيال وعموم المجتمع، وبمنصّات التأثير والشبكات والإعلام.
- تنمية قدرات المجتمع والعناية بكفاءاته، مع منح أولوية خاصّة للمجالات التي تشتدّ الحاجة إليها في الواقع المجتمعي عموماً، وفي مشروع المقاومة خصوصاً.
- إنعاش دور صفوة مجتمعية ريادية متعددة المجالات والاختصاصات، لتنهض بدور المحرِّك الاجتماعي في الأوساط جميعاً، في اتجاه تنمية مواصفات المجتمع المقاوم.

مفاهيم وخلاصات

- للحاضنة الشعبية أهميتها المؤكّدة في تجارب المقاومة وسِيَر الثورات وحركات التحرّر ماضياً وحاضراً، وقد يكون دور هذه الحاضنة حاسماً في مخاضاتها.
- المقاومة يُفترَض بها أن تكون من الشعب وإليه، على مستوى الفكرة والمشروع والصيرورة، وأن تجد الجماهير في مشروع المقاومة الخيار الموثوق الذي يحمل آمالها، ويعبِّر عن تطلّعاتها.
- الشعب هو مورد المقاومة البشري، ورافدها المتجدِّد من الطاقات والخبرات والكفاءات.
- يُفترض بالمقاومة أن تتخلّل أوساط الشعب وفئاته وطبقاته ونطاقات انتشاره.
- المقاومة بحاجة مستمرّة إلى غطاء شعبي، ودعم مجتمعي، ومساندة جماهيرية من شتّى الأشكال.
- للمقاومة ضرائبها وأعباؤها التي تقع على عاتق الشعب، وعادةً ما تُبتزّ المقاومة بإنزال ضغوط قاهرة على مجتمعها، ومن الضرورة بمكان أن تتهيّأ حاضنة شعبية لاحتمال هذا الاستحقاق في شتّى الظروف.
- يجدر بمشروع المقاومة أن يستوعب الشعب والجماهير عموماً ضمن مفهوم الحاضنة الشعبية، مع ما يترتّب على ذلك من أدوار واستحقاقات، وإن توفّرت حاضنة شعبية لصيقة بالمشروع تكون أكثر انخراطاً فيه من غيرها.

- يُدرك الاحتلال مناعة الحاضنة الشعبية ومتانة وشائج المقاومة مع مجتمعها، وأنّ هذا الشعب مرتبط بمقاومته واقعياً ومعنوياً وثقافياً وعضوياً؛ فيلجأ إلى خيار الإبادة الجماعية، وجرائم الحرب الوحشية في عدوانه المتجدِّد على هذا الشعب.
- الوعي بأهمية الحاضنة الشعبية يفرض السعي، قدر الإمكان، إلى الموازنة والانسجام والتضافر بين مسارات المقاومة ومسارات الحياة.
- تترتّب على المقاومة أثمان شاقّة وتضحيات غالية؛ لكنّها تحرص على التخفيف عن شعبها ومجتمعها قدر الإمكان، وتُعنى باحتياجاته الاقتصادية والاجتماعية، ومتطلّباته المعيشية والتنموية في شتى المجالات.
- تقوم الحاضنة الشعبية الحقّة على الشراكة والتعاضُد، لا على التبعية والزبائنية، فالعناية الرشيدة بالحاضنة الشعبية وتمتين الأواصر معها، تقتضي تنمية روح الشراكة لدى المجتمع والجماهير في مشروع المقاومة، وحمْل هذا الهمّ العامّ، وتعزيز الوعي العام به وبالاستعداد للتضحية في سبيله.
- المجتمع المقاوم يتشاطر الأعباء، كي لا يحتملها قليل من الناس دون غيرهم.
- تنمية فعالية المجتمع المقاوم تتطلّب تيسير سبُل الانخراط والمساهمة في مسارات المقاومة، ولو بقليل من الجهود والمساهُمات.

- ينبغي تهيئة المجتمع عموماً لاحتمال أعباء قاهرة قد تقع عليه، من خلال تعزيز قيَم البذل والتضحية والاحتساب، علاوة على السعي في توفير المتاح من مقوِّمات الصمود الاجتماعية والاقتصادية والمعنوية.
- تواجه الحاضنة الشعبية ظروفاً قاهرة أو ضاغطة، يتجلّى بعضها في بيئات معيّنة أكثر من غيرها، وهذه تُمثِّل تحدِّيات مركّبة بالنسبة للمقاومة وحاضنتها الشعبية في الداخل والخارج.
- تنبثق المقاومة في الأساس من حالة وعي، ومن استحقاقات العناية بحاضنتها الشعبية وتحصين «الجبهة الداخلية» كسب العقول والقلوب، وتعزيز ثقة المجتمع والجماهير بالمقاومة، على مستوى المشروع عموماً، وفي ما يتعلّق بتوجّهاته وخياراته وقراراته وأعبائه تفصيلاً.
- يحرص مشروع المقاومة على تنمية واقع الحاضنة الشعبية واستنهاضها في اتجاه تنمية مواصفات المجتمع المقاوم.

المرأة في المجتمع المقاوم

للمرأة أدوار جوهرية في المجتمع المقاوم، ومن سمات هذا المجتمع، أن تجد شتّى الأوساط والفئات والشرائح فرصاً في المساهمة في مشروع المقاومة بمفهومه العامّ، وفي إسناد المقاومة بشكل مباشر أو غير مباشر، بما هو مُتاح من أساليب ووسائل وتعبيرات، حسب مقتضيات الواقع وخصوصية البيئة وطبيعة الفئة أو الشريحة المجتمعية.

إنّ دور المرأة، يعني دور النساء والفتيات، وهُنّ يشكِّلن نسيج المجتمع ككلّ مع المُكوِّن الرجالي. وبالتالي فإنّ الحديث عن المجتمع المقاوم لابدّ أن يستصحب ضمناً وبالضرورة، أدوار النساء والفتيات فيه، كما أنّ استنهاض هذه الأدوار يحفِّز مزيداً من الفعالية في واقع المجتمع المقاوم.

لن تسري روح المقاومة في مجتمع بمعزل عن استنهاض أدوار المرأة في أنساقه ومستوياته؛ في واقع الأسرة وأواصرها، والأحياء السكنية، والمساجد والمرافق، والبيئة التعليمية والدراسية، والحياة العملية والوظيفية، والنشاط الاجتماعي والأهلي، ومجالات العمل العام، والتفاعل التواصلي والإعلامي؛ بما في ذلك الشبكات الاجتماعية، ووسائل الاتصال الحديثة وتطبيقاتها.

للمقاومة ميادين ووسائل وتعبيرات ومظاهر متعدِّدة، لا تقتصر على القتال والمناجزة الميدانية. وإن كان للشباب والرجال أدوار أوسع في بعض أعمال المقاومة الميدانية؛ فإنّ أدوار النساء والفتيات قد تكون أوضح في بعض مجالات الحضور المجتمعي، والإسناد الشعبي، والدعم المعنوي، والجهود الاختصاصية.

وإذ تتعدّد صور المقاومة وتتّخذ مظاهر متنوِّعة عبر البيئات؛ فإنّ بعض خيارات الفعل المقاوم، فردياً ومجتمعياً وجماهيرياً، مُتاحة

للنساء والفتيات بصفة أكثر وضوحاً لاعتبارات شتّى. كما أنّ للمرأة أثراً حاسماً في تشجيع المقاومة وتحفيزها، من خلال حضور النساء والفتيات في مواقع المجتمع المتعدِّدة.

المرأة في قلب الحاضنة الشعبية

لا تتحقّق لمشروع المقاومة والتحرير حاضنة شعبية بدون دور فاعل للنساء والفتيات فيها. ومن مقتضيات الحاضنة الشعبية التشجيع والتحفيز، وهما لدى المرأة أظهر فعلاً وأمضى تأثيراً. فالنساء والفتيات يَقُمْن بأدوار معنوية مباشرة وغير مباشرة في سياق الحضور الاجتماعي عموماً، وفي النطاق الأسري خصوصاً.

ومن المألوف فوق ذلك أن تُعَدّ المرأة صوْت المجتمع الذي إليه يُنصَت في المشاهد المحمولة من الواقع والميدان، وأن تكون روحُها المعنوية التي تبوح بها، أو تظهر أماراتُها عليها مؤشِّراً مرئياً على حالة مجتمعها من حولها. فالمرأة أبرز مَن يعبِّر عن الجماهير أو الشعب، ومن شأن موقفها الذي تُفصِح عنه أن يُوْحي بمدى الاحتضان الشعبي في الواقع.

امتياز غرس القيم وصناعة الأجيال

تنهض النساء أساساً بمعظم أدوار التنشئة المنزلية والاجتماعية، وفي مراحل رياض الأطفال والمدارس الابتدائية، وهنّ في حالة تواصل زمني أطول وأكثر كثافة مع الأطفال والناشئة، ما يجعل أدوارهنّ

حاسمة في إنعاش قيم المجتمع، ومفاهيم المقاومة، وهذا دون التقليل من الأدوار الاجتماعية الأخرى، كالتي ينهض بها الآباء والمربّون والمعلمون والمرشدون والأئمة والرواد والشخصيات العامة ونحوهم.

لا يصحّ في مشروعات الإصلاح والتغيير والثورة أن تُغفِل هذه الحقيقة، وأن تُتجاهل مقتضياتها، خاصة مع ملاحظة مفعول التأثيرات التوجيهية والتثقيفية المعاكسة، والجهود القيمية والمعنوية المضادة، التي تعمل في الواقع بهدف إطفاء جذوة المقاومة، وإخماد روح التحدِّي، واستهداف المنظومة القيمية والهوية الحضارية للشعب والأمّة.

صخرة الصمود والإرادة

من تجلِّيات المقاومة أن تقف المرأة سدّاً منيعاً في وجه حروب عدوانية وسياسات جائرة تروم كسرها، وقهر مجتمعها، وإرغام شعبها على الانصياع للاحتلال والرضوخ لعدوانه، والقنوط من المقاومة.

وإنّ احتملت النساء الصابرات المحتسبات الأعباء الجسام، والأثمان الغالية التي يتكبّدها الشعب على طريق المقاومة والتحرير، فإنّ المجتمع ككلّ يتأهّل لاحتمال جراحه الغائرة، والاصطبار على ما يُنزَل به من أذى ويكابده من مشقّة.

لا مبالغة في الاستنتاج بأنّ النساء والفتيات يقَعْن في مركز حرب الإبادة الجماعية والتهجير والتجويع التي يشنّها جيش العدوان وداعموه على الشعب الفلسطيني. كما أنّ النساء والفتيات يدفعن أثماناً مركّبة، لا تقلّ عن ما يتكبّده الرجال والشبان في حملات

الانتقام والترهيب المُضادة للمقاومة، وقد تزيد عليها. يتضح هذا مثلاً في الاعتداءات المادية على المنازل والممتلكات، وتفجير البيوت، وفقدان المأوى، والمساس بفرص العيِّش وموارد الرزق، والأعباء المعنوية والمادية المترتِّبة على القتل والاعتقال ضمن المحيط الاجتماعي، فالمرأة الفلسطينية إن لم تكن ضحية قتل أو إصابة أو اعتقال؛ قد تكون أمّ شهيد أو أسير أو جريح، أو زوجه أو ابنته أو شقيقته، وقد يجتمع لها ذلك بعدد منهم.

ومن مقتضيات الصمود والاحتمال تحفيز النساء والفتيات على تطوير إمكاناتهنّ، وتوفير فرص تأهيلية متعدِّدة، تعينهنّ على القيام بنشاطات اجتماعية واقتصادية ومعرفية، تتكيّف مع ضيق الأوضاع الاقتصادية والظروف القاهرة التي قد تُفرض على أيّ منهنّ، وتعزِّز ثقتهنّ الذاتية بالقدرة على التعامل مع أقسى الظروف التي قد تُنزَل بهنّ.

أدوار مضاعفة في النوازل

تتصاعد أهمية الأدوار التي تنهض بها النساء والفتيات خلال حروب الإبادة ومواسم العدوان وتشديد الحصار الخانق، ويسري هذا على ميدان الحدث الحربي، ورقعة العدوان المباشر، كما يجري بأقدار على ميادين التفاعل الواسعة معه في البيئات المتعدِّدة.

ففي النوازل تتنزّل أنباء الفواجع على النساء والفتيات، وهنّ في مجموعهنّ أمّهات وزوجات وجدّات وشقيقات وبنات، وقد يفقدن

المأوى فجأة، أو يُدفَعن إلى النزوح، وتطاردهنّ تهديدات القصف والفتك والأسْر، وقد لا يجدن ما يسدّ رمقهنّ ورمق أطفالهنّ، أو حتى شربة ماء وقارورة دواء، وقد يفتقدن أدنى مقومات العيش ومرافق الحياة الأساسية. يفرض هذا الواقع القاهر على المرأة أن تنهض بأدوار إضافية مضاعفة، وقد يوقع على كاهلها وحدها أحياناً مسؤوليات الحياة الشاقّة في ظروف قاسية.

ولاريب أنّ تماسُك المرأة في النوازل يشدّ ظهر محيطها الاجتماعي، ويطوِّر جاهزيّته على كسب حرب الإرادات على طريق المقاومة والتحرير، رغم التضحيات الهائلة المبذولة.

وتتجلّى في التفاعل مع هذه النوازل من خارج بيئة الحدث أولويّات ملحّة ومسؤوليّات مؤكّدة، تُملي استنهاض أدوار النساء والفتيات في كلِّ مكان، من خلال حضورهنّ في المجتمعات، ونشاطاتهنّ العامّة في الميادين والمؤسسات والمنصّات والشبكات، وجهودهنّ المثابرة في الحقول جميعاً، وتوظيف اختصاصاتهنّ ومهاراتهنّ في هذا الاتجاه. وبوسع النساء والفتيات تشكيل بوادر حالة شعبية ناهضة، وتحفيز مشهد تضامني ضاغط، وتطوير تجارب تكافلية متميّزة عبر بيئات متعدِّدة.

تفعيل المرأة لاستنهاض المجتمع المقاوم

عندما تستشعر المرأة أنها صاحبة القضية وشريكة الموقف، فإنّها ستبدي جاهزية أعلى للتصرّف بمسؤولية أكبر، خاصّة عند

استحضار جملة من العوامل النفسية والاجتماعية والإيمانية والثقافية المحفِّزة. إنّ تفعيل أدوار النساء والفتيات بوّابة رحبة لاستنهاض المجتمع المقاوم، وبثّ الأجواء الإيجابية فيه، وإنعاش فعاليته وحيويته، وإطلاق روح المسؤولية والمبادرة البنّاءة في أوساطه، انطلاقاً من أدوار النساء والفتيات في الأوساط الاجتماعية مباشرة، بدءاً من الأسرة أو آصرة القرابة والفضاءات التواصلية الشبكية، والتجمّعات السكنية أو المخيّمات أو بيئات النزوح أو تجمّعات المنافي، ومرافق المجتمع مثل المدارس ورياض الأطفال والمستوصفات والعيادات والمستشفيات، والجامعات والمعاهد والمنظمات الأهلية والجمعيات الخيرية والمؤسسات المتخصصة. فالمرأة حاضرة بوضوح من خلال هذه الشبكات والمسالك التي تتخلل المجتمع.

الصفوة النسائية الريادية

لا غنى لمشروع المقاومة والتحرير والاستنهاض عن إنعاش أدوار صفوة نسائية ريادية متعدِّدة المجالات والاختصاصات، لتنهض بدور المحرِّك الاجتماعي في الأوساط جميعاً، في اتجاه تنمية مواصفات المجتمع المقاوم.

يتطلّب ذلك عناية فائقة بأدوار ريادية لصفوة فاعلة من النساء والفتيات، تنتمي إلى شرائح المجتمع وفئاته، مع الحذر من أن تتركّز هذه الحالة في أطر العمل النسائي وحدها، بصفة قد تتسبّب في الانغلاق دون المجتمع العريض؛ بل عليها أن تنتشر في مجالات الحضور المجتمعي جميعاً قدر الإمكان؛ من قبيل مرافق التعليم،

ومجالات الإرشاد، والثقافة والآداب والفنون، والإعلام وشبكات التواصل، والحياة الأكاديمية، والخبرات والاختصاصات المتنوعة، والحضور السياسي، والمنظمات الشعبية، والجمعيات الأهلية، والعمل النقابي، والجهود الحقوقية، والنشاطات الاقتصادية والتنموية والخيرية، وقيادة الرأي، والمبادرة المجتمعية، وغير ذلك.

ومن مقتضيات ذلك تمكُّن صفوة من النساء والفتيات من مهارات مميّزة وجدارات متعدِّدة، مع ضمان حالة الانتشار الاجتماعي بدل التركيز في أطر نخبوية منغلقة على ذاتها دون المجتمع.

العناية بالكفاءات النسائية وإدماجها

لا غنى لمشروع المقاومة عن إيلاء عناية خاصة بالكفاءات الفردية، وتشجيعها واجتذابها لمجالات التفاعل المتعدِّدة المناسبة لكل منها، وتمكينها بالصقل والدعم لمباشرة الأدوار الفعّالة المناسبة، ولا ينبغي أن يَقصُر هذا المسعى عن الاكتراث بالكفاءات النسائية وإدماجها في المشروع بصيغ متعدِّدة.

يتطلّب هذا المسعى تنقيباً عن ذوات المواهب والمهارات والكفاءات، ضمن السعي إلى تحرير الطاقات الكامنة في مختلف المجالات. وما يزيد من جدوى هذا التوجّه، ما تحوزه الأجيال الجديدة من النساء والفتيات من قابليات غير مسبوقة على التحصيل العلمي والثقافي، والخبرات العملية والتطبيقية، وتنمية الجدارة الذاتية في حقول متعدِّدة، ولا يصحّ أن تبقى أقساط من هذه الطاقات

النسائية، من شتى الأجيال، معطّلة دون أن تجد سبيلها إلى رفد مشروع المقاومة وإسناده، بل قد تُستقطَب هذه الكفاءات من جانب مؤسسات ومشروعات تتعارض مع أولويّات الشعب، وتتناقض مع مشروع المقاومة والتحرير والاستنهاض.

المرأة في مواجهة الحرب النفسية

من واقع سياسات القتل والتدمير والاعتقال والأسْر والإبعاد والتهديد، أنّها ذات وطأة معنوية جسيمة ومُزمنة على المرأة، علاوة على وطأتها الاجتماعية والماديّة عليها. ومن مقاصد الحرب النفسية الدؤوبة التي تستهدف المجتمع المقاوم أن تُقوِّض معنويّات النساء، وأن تبعث الخوف والرهبة في صدورهنّ، عبر أشكال التهديد وأعمال الترويع، وأن تبعث القنوط في أنفسهنّ من جدوى المقاومة التي تجرّ كلّ هذه الأثمان الباهظة على مجتمعها.

من شأن ذلك أن يؤكِّد أهمية تعزيز مناعة النساء والفتيات والمجتمع المقاوم عموماً، في مواجهة الحرب النفسية والتأثيرات المعنوية المضادّة، وكيفية التعامل مع أحابيل التضليل الموجّهة. ثمة حاجة رديفة إلى تنمية الوعي السياسي الجماهيري، والوعي الأمني الذي يساهم في تحصين المجتمع وزيادة مناعته من مساعي الاستغلال والاستدراج والاختراق.

إنّ تعزيز الروح المعنوية للمجتمع المقاوم أولوية لا غنى عنها في مواجهة الحرب النفسية وأحابيل التضليل ومساعي التثبيط، ولا

غنى في هذا المقام عن تنمية الوعي العامّ بفكرة المقاومة وأهميّتها، ومقاصد مشروعها ضمن نضال هذا الشعب المتراكم جيلاً بعد جيل، وتدعيم البناء المعنوي الذي يُعلي من قيَم الصبر والاحتساب والتضحية والفداء والشهادة. ويجدر في هذا المسعى إبراز تجارب ورمزيّات نسائية مُلهِمة، مرتبطة بالمقاومة والشجاعة والتضحية والصمود والتحدِّي والوعي والالتزام بالقضية والمشروع، وتشجيع النساء والفتيات الفاعلات على بصيرة، والمتحدِّثات المقتدرات على التعبير بثقة عن هذه المعاني النبيلة.

المرأة والمسألة القيمية وحروب الأفكار

لا تكلّ المساعي الرامية إلى إعادة إنتاج المجتمع وتشكيل مفاهيمه بصفة منسلخة من هويّته الحضارية، ومنسلّة من منظومته القيمية، ومنفلتة من ثقافة المقاومة، ومتنكِّرة لأولوياته والتزاماته. فالمجتمع المُقاوم لا تستثنيه حروب الأفكار المستعرة من حوله، التي تستهدف الهوية والدين والمفاهيم ووشائج الأمّة الواحدة.

يأتي من ذلك على سبيل المثال، ترويج أفكار ودعم نزعات تحاول إعادة إنتاج المجتمعات نحو الأنانية الفردانية، ونمط الحياة الاستهلاكية، واستهداف المقدّسات وزعزعة الإيمان، وضرب الفضيلة، وإشاعة الرذيلة، والتنكُّر لمفهوم الأسرة والأواصر الاجتماعية، ومحاولة نقض البنيان الاجتماعي من أساسه، عبر مساعي إعادة التعريف الدؤوبة للأنوثة والذكورة، والأمومة والأبوّة، والزواج والقرابة، أو التنكُّر لهذه جميعاً.

تتأتّى لبعض هذه المساعي الدؤوبة موارد دعم سخيّة، وقدرات تشغيلية هائلة، ومنظمات وفيرة التمويل، وصناعة ثقافية نافذة، لها شاشاتها وأعمالها ومنصّاتها. وممّا لا تخطؤه العيْن أنّ المرأة موضوعة في بؤرة كثير من هذه المساعي، فهي تستهدف وعيَها، وتبتغي استغلال حضورها وأدوارها في المجتمع بصفة معاكسة لقيم المقاومة والتضحية وروح التحرير والاستنهاض.

مفاهيم وخلاصات

- للمرأة أدوار جوهرية في المجتمع المقاوم، ومن سمات هذا المجتمع أن تجد شتّى الأوساط والفئات والشرائح فرصاً في المساهمة في مشروع المقاومة بمفهومه العامّ، وفي إسناد المقاومة بشكل مباشر أو غير مباشر، بما هو مُتاح من أساليب ووسائل وتعبيرات، حسب مقتضيات الواقع، وخصوصية البيئة، وطبيعة الفئة أو الشريحة المجتمعية.
- الحديث عن المجتمع المقاوم لابدّ أن يستصحب ضمناً وبالضرورة، أدوار النساء والفتيات فيه، كما أنّ استنهاض هذه الأدوار يؤدي إلى مزيد من الفعالية في واقع المجتمع المقاوم.
- للمقاومة ميادين ووسائل وتعبيرات ومظاهر متعدِّدة، وبعض خيارات الفعل المقاوم فردياً ومجتمعياً وجماهيرياً، متاحة للنساء والفتيات بصفة أكثر وضوحاً لاعتبارات متعدِّدة.
- لا تتحقّق لمشروع المقاومة والتحرير حاضنة شعبية بدون دور فاعل للنساء والفتيات فيها. والمرأة أوضح تعبير عن الجماهير أو الشعب، ومواقف النساء والفتيات توحي بمدى الاحتضان الشعبي.
- لن تسري روح المقاومة في مجتمع بمعزل عن استنهاض أدوار المرأة في أنساقه ومستوياته. وللمرأة أثر حاسم في تشجيع المقاومة وتحفيزها وإمدادها، من خلال حضور النساء والفتيات في مواقع المجتمع المتعدِّدة.

- تحوز المرأة امتيازاً خاصّاً على صعيد غرس القيم وصناعة الأجيال، وأدوار النساء حاسمة في إنعاش قيم المجتمع ومفاهيم المقاومة.

- من تجلّيات المقاومة أن تقف المرأة سدّاً منيعاً في وجه حروب عدوانية، وسياسات جائرة تروم كسرها وقهر مجتمعها، وإرغام شعبها على الانصياع للاحتلال وعدوانه وداعميه.

- تقع النساء والفتيات في مركز حرب الإبادة الجماعية والتهجير والتجويع التي يشنّها جيش العدوان وداعموه على الشعب الفلسطيني.

- تدفع النساء والفتيات أثماناً مركّبة لا تقل عن ما يتكبّده الرجال والشبان، في حملات الانتقام والترهيب المُضادة للمقاومة في كل مكان، وقد تزيد عليها.

- من مقتضيات الصمود والمواصلة تحفيز النساء والفتيات على تطوير إمكاناتهنّ، وتوفير فرص تأهيلية متعدِّدة تعينهنّ على القيام بنشاطات اجتماعية واقتصادية ومعرفية تتكيّف مع ضيق الأوضاع الاقتصادية والظروف القاهرة التي قد تُفرض على أيّ منهنّ.

- تتصاعد أهمية الأدوار التي تنهض بها النساء والفتيات خلال حروب الإبادة ومواسم العدوان وتشديد الحصار، ويسري هذا

على ميدان الحدث الحربي ورقعة العدوان المباشر، كما يجري بأقدار على ميادين التفاعل الواسعة معه في البيئات المتعدِّدة.

- تفرض الأوضاع القاهرة على المرأة أن تنهض بأدوار إضافية مضاعفة، وقد تقع على كاهلها وحدها مسؤوليات الحياة في ظروف قاسية.
- عندما تتماسك المرأة في النوازل فإنّها تشدّ ظهر مجتمعها، وتطوِّر جاهزيّته على كسب حرب الإرادات على طريق المقاومة والتحرير، رغم التضحيات الهائلة المبذولة.
- ينبغي استنهاض أدوار النساء والفتيات في كلِّ مكان، من خلال حضورهنّ في المجتمعات، ونشاطاتهنّ العامّة، وجهودهنّ في الحقول جميعاً، وتوظيف اختصاصاتهنّ ومهاراتهنّ في هذا الاتجاه.
- بوسع النساء والفتيات في شتى بيئات الحضور تشكيل حالة شعبية ناهضة، ومشهداً تضامنياً متحفِّزاً، وواقعاً تكافلياً متميّزاً.
- عندما تستشعر المرأة أنها صاحبة القضية وشريكة الموقف، فإنّها تبدي جاهزية أعلى للتصرّف بمسؤولية أكبر، خاصة عند استحضار جملة من العوامل النفسية والاجتماعية والإيمانية والثقافية المحفِّزة.
- تفعيل أدوار النساء والفتيات بوّابة رحبة لاستنهاض المجتمع المقاوم، وبثّ الأجواء الإيجابية فيه، وإنعاش فعاليته وحيويته، وإطلاق روح المسؤولية والمبادرة البنّاءة في أوساطه.

- لا غنى لمشروع المقاومة والتحرير والاستنهاض عن إنعاش أدوار صفوة نسائية ريادية متعددة المجالات والاختصاصات، لتنهض بدور المحرِّك الاجتماعي في الأوساط جميعاً، في اتجاه تنمية مواصفات المجتمع المقاوم.
- لا غنى لمشروع المقاومة عن إيلاء عناية خاصة بالكفاءات الفردية وتشجيعها، واجتذابها لمجالات التفاعل المتعددة المناسبة لكل منها، وتمكينها بالصقل والدعم لمباشرة الأدوار الفعالة المناسبة، ولا ينبغي أن يقصُر هذا المسعى عن الاكتراث بالكفاءات النسائية، وإدماجها في المشروع بصيغ متعدِّدة.
- تحوز الأجيال الجديدة من النساء والفتيات قابليات غير مسبوقة على التحصيل العلمي والثقافي، والخبرات العملية والتطبيقية، وتنمية الجدارة الذاتية في حقول متعدِّدة، ولا يصحّ أن تبقى أقساط من الطاقات النسائية من شتى الأجيال معطّلة، دون أن تجد سبيلها إلى رفد مشروع المقاومة وإسناده.
- سياسات القتل والتدمير والاعتقال والأسْر والإبعاد والتهديد ذات وطأة معنوية جسيمة ومُزمنة على المرأة، علاوة على وطأتها الاجتماعية والمادِّية.
- من مقاصد الحرب النفسية الدؤوبة التي تستهدف المجتمع المقاوم أن تُقوِّض معنويات النساء، وأن تبعث الخوف والرهبة في صدورهنّ؛ عبر أشكال التهديد وأعمال الترويع، وأن تبعث القنوط في أنفسهنّ من جدوى المقاومة، التي تجرّ كلّ هذه الأثمان الباهظة على مجتمعها.

- من الأهمية بمكان تعزيز مناعة النساء والفتيات والمجتمع المقاوم عموماً في مواجهة الحرب النفسية، والتأثيرات المعنوية المضادة، وكيفية التعامل مع أحابيل التضليل الموجّهة.
- لا غنى عن تنمية الوعي العامّ بفكرة المقاومة وأهميّتها ومقاصد مشروعها ضمن جهاد هذا الشعب المتراكم جيلاً بعد جيل، وتدعيم البناء المعنوي الذي يُعلي من قيَم الصبر والاحتساب والتضحية والفداء والشهادة، وتنمية الوعي السياسي الجماهيري، والوعي الأمني الذي يساهم في تحصين المجتمع وزيادة مناعته من مساعي الاستغلال والاختراق.
- يجدر إبراز تجارب ورمزيّات نسائية مُلهِمة، مرتبطة بالمقاومة والشجاعة والتضحية والصمود والتحدِّي والوعي والالتزام بالقضية والمشروع، وتشجيع النساء والفتيات الفاعلات والمتحدِّثات على التعبير بثقة واقتدار عن هذه المعاني النبيلة.
- المجتمع المُقاوم لا تستثنيه حروب الأفكار المستعرة من حوله، التي تستهدف الهوية والدين والمفاهيم ووشائج الأمّة الواحدة. والمرأة موضوعة في بؤرة كثير من هذه المساعي، فهي تستهدف وعيها، وتبتغي استغلال حضورها وأدوارها في المجتمع بصفة معاكسة لقيم المقاومة والتضحية وروح التحرير والاستنهاض.

ثقافة المقاومة في زمن الطوفان

ليست ثقافة المقاومة أعمالاً ونشاطات معزولة عن الواقع، فهي ثقافة حاضرة في الحياة اليومية عبر مظاهر وتعبيرات متعدِّدة، فتتجلّى في أسماء تُطلَق على المواليد الجدد، وفي بعض مظاهر اللِّباس والعادات، ومضامين الأفراح والمناسبات الاجتماعية، وصولاً إلى فيض الرُّموز والشعارات والمضامين الإعلامية والثقافية والأعمال الفنية والأدبية وغيرها، حيث تتجلّى ثقافة المقاومة في معرض عام، أو حدث فني، أو قصيدة شعر، وغير ذلك كثير.

ثقافة المقاومة بمعناها العامّ

تتجلّى ثقافة المقاومة بمعناها العامّ في روح المجتمع ومظاهر الحياة عموماً؛ وفي تصوّراته ومواقفه وتفاعله بشأن القضيّة خصوصاً.

فمن ثقافة المقاومة، مثلاً:

- أن يحتفي المجتمع بمواليده، ويعدّهم رصيداً لشعبهم وقضيّتهم، وأن يستبشر بأنهم من جيل التحرير والعودة.
- أن ترفع الجماهير صور الشهداء والأسرى، وتستلهم نضالاتهم، وتحتفي بسيَرهم.
- أن تتزيّن جدران المدن والقرى والمخيمات بنقوش وشعارات داعمة للمقاومة.
- أن يحتشد الناس في تشييع الشهداء واستقبال الأسرى المحرّرين، مع التواصي بمواصلة المسيرة.
- أن تُحيَى المناسبات السنوية المرتبطة بأحداث القضية ومحطّات التضحية عبر نشاطات جماهيرية وفعاليات متعدِّدة.

- أن تحضُر رموز المقاومة والمُطالبة بالحقوق في الفضاءات العامّة والخاصّة؛ مثل خريطة فلسطين التي ترمز إلى مطلب التحرير الكامل، ورفض التنازل عن الحقوق، والمفتاح الذي يرمز إلى التمسّك بحقّ العودة، وقبة الصخرة المشرّفة التي تعبِّر عن التشبّث بالقدس والمقدّسات، والأثواب الشعبية التي تعبِّر عن الهوية الثقافية والتجذّر التاريخي والانتماء إلى الوطن والقضية.
- أن تُحفَظ الأشعار والقصائد، وتُردّد الأناشيد والأهازيج التي تمجِّد جهاد هذا الشعب، وتستذكر تضحياته عبر الأجيال.
- أن تعبِّر أجيال المجتمع عن توريث القضية والحقوق والمطالب، كما يجري مثلاً من خلال مركزية النكبة في الوعي الجمعي، وذاكرة الديار السليبة وآمال العودة إليها.
- أن تُستحضر معاني الصمود والمقاومة في مساعي التحصيل الدراسي والتأهيلي، ومزاولة الأعمال التشغيلية، والنشاطات الزراعية والإنتاجية، وفي خدمة المجتمع والمجالات التخصصية.

ثقافة المقاومة بمعناها الخاصّ

لا مقاومة ناجزة بدون ثقافة وفنون وآداب تُشعّ بقيَمها، وتحمل رسائلها، وتشحن جماهيرها، فلا غنى للمقاومة عن الأعمال الثقافية والفنون والآداب بأنواعها. ومن مقتضيات تطوُّر مشروع المقاومة أن تتنامى الجهود الثقافية والفنية والأدبية المعبِّرة عنها والداعمة لها.

لا يقضي هذا بتنميط هذه الجهود في قوالب محدّدة، أو تقاليد مستهلكة، أو تعبئة رتيبة، إذ يجدر بها أن تأتي على أنواع شتّى، وبأساليب متنوِّعة، وأنماط متجدِّدة. ومن نضوج هذه الجهود أن لا تقتصر في انبثاقها على أطر المقاومة ومؤسّساتها المتخصصة؛ بل أن تأتي فوق هذا من عموم المشهد الثقافي والفني والأدبي، وجملة المساهمات والمبادرات التي يدفع بها المثقفون والفنانون والأدباء والمبدعون، على مستويات الشعب والأمّة والفضاء الإنساني الواسع.

المقاومة ثورة على ثقافة الهزيمة

مثّل مشروع المقاومة ثورةً على ثقافة الهزيمة وحمّى التثبيط ونوازع التيئيس وروح العجز، التي أشاعتها صدمات النكبة والاحتلال، وغذّاها علوّ المحتلّ الغاشم، وتسيُّد الهيمنة الخارجية، وضمور ثقة الأمّة الحضارية بذاتها. فمَن يحمل فكرة المقاومة يُبحر عكس تيّار التقاعس والتخاذل، ولا يرتضي بالإذعان لواقع جائر فُرِض على فلسطين وأمّتها. إنّ فِعل المقاومة هو بحدّ ذاته تعبير عمليّ عن الثقة بالذات، ومفارقة الإحساس بالانكسار، على مستوى الفرد والمجتمع والشعب والأمّة، وفي المثابرة على طريق ذات الشوكة رسالة إصرار وتحدٍّ مرئية، تنتصب نموذجاً شاخصاً في هذا الشأن.

تنقدح الثورة على ثقافة الهزيمة، من الانشغال بمعالي الأمور، وبذل الغالي والنفيس على طريقها، ومفارقة حال الركون إلى العجز والتثاقل إلى الأرض. تعيد هذه الثورة صياغة الإنسان والمجتمع

والجماهير على أساس مفاهيمي، يضع الأمور في نصابها، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: 38].

من واقع الطوفان: صناعة الحدث وإشعاعه الثقافي

لا تنفكّ ثقافة المقاومة عن فعلها، ويتأهّل الحدث الذي تصنعه المقاومة لأن يُحرِّك المشهد الثقافي من حوْله، ويتحقّق هذا بالمعنيَيْن العامّ والخاصّ للثقافة.

فالمخاضات والأحداث الكبرى التي تشهدها تجارب المقاومة والتحرُّر، تفرض أولويّات الاهتمام والتناول والتداول الجماهيري والثقافي، ومثل هذا عرفته قضية فلسطين في تاريخها المديد عبر محطّات مشهودة، حُفِرت عميقاً في الذاكرة الجمعية؛ تتمثّل في الثورات والانتفاضات والهبّات، وعمليات المقاومة النوعية، والمعارك وجولات الحرب والعدوان. أثّرت هذه المحطّات من تلقائها في المشهد الثقافي والفني والأدبي عبر المراحل المتعاقبة، وكان لها وقعها على وعي الأجيال ومواصلة الكفاح الدؤوب، رغم محطّات الهزيمة والانحسار والخذلان والمجازر الوحشية. إنّ فعل المقاومة بأشكاله المتعدِّدة، الذي لم ينقطع عبر الأجيال، كان له أعظم الأثر في بعث ثقافة المقاومة وإنعاشها؛ وإلاّ لكانت المقاومة مجرّد أمانيّ حالمة منقطعة الصلة بالواقع.

وما إن دشّن «طوفان الأقصى» عهداً جديداً في جهاد شعب فلسطين، حتى صعدت ثقافة المقاومة إلى مستوى جديد من الحضور والتأثير والإلهام في واقع شعبها، وفضاء أمّتها، وتفاعل عالمها. بعث الطوفان روحاً جديدة متوثّبة في جماهير الأمّة، وإن لم تجد بعدُ فرصةً لائقة بها للإفصاح عن ذاتها كما ينبغي، كما حرّك الحدث وتداعياته ثقافة التضامن والمساندة عبر الأمم، وأطلق مراجعات نقدية ذاتية في أمم الصدارة العالمية.

حفّز هذا المتغيِّر الكبير تعبيرات مكثّفة عنه في واقع الفعل الثقافي والفني والأدبي على نحو تستعصي شواهده على الحصر. ومن تجلّيات ذلك، مثلاً، أن تتردّد صيحات ميدان المقاومة في أعمال جماهيرية، وأن تجد مقاطع مرئية من الميدان أصداء لها في أعمال تغمر الشبكات حول العالم، وأن تُشكّل أعمال فنية من وحي وجوه الشهداء، وتضحيات الصحفيين، ونصوص الأدباء الذين ارتقوا في حرب الإبادة، وأن تُشْتقّ رموزٌ ثقافية جماهيرية جديدة، تتناقلها حركة التضامن الجارفة، التي تحاصر مصالح الاحتلال وداعمي الإبادة حول العالم.

ثمّ إنّ المحتلّ الغاشم، في اندفاعته السافرة إلى الإبادة الجماعية والتجويع الرهيب واقتراف الفظائع، تجلّى على حقيقته لعالم يسمع ويرى ويُواكب ما يقترفه يوماً بيوم وساعة بساعة، فشكّل لحظة وعي استثنائية على مستوى الأمّة والعالم. نزع كيان الاحتلال بمسلكه الوحشي أقنعة حاول التستّر بها، واستفتح بجرائم حربه الشنيعة خروجه من التاريخ، ودشّن مشهد النهايات النمطي الذي جرّبته

عهود الاستعمار والاحتلال والاضطهاد الآفلة من قبله؛ عندما لم تفلح وحشيّتُها في كسر إرادة الشعوب وإطفاء جذوة المقاومة.

التضحيات تنعش ثقافة المقاومة

تتأهّل التضحيات المبذولة عبر الأجيال لتعميق ثقافة المقاومة وتجذيرها وتعميمها عبر أوساط المجتمع وشرائحه وفئاته وجماهيره، فمسيرات تشييع الشهداء تُطلق هتافات تشحن الجماهير بروح التحدِّي والتضحية والغضب، ومن شأن تمجيد إقدامهم وتضحياتهم أن تعمِّم هذه الروح عبر المجتمع.

وقد كان لتجارب التضحية المحمولة من جيل إلى جيل آثارها المشهودة في مشروع المقاومة وتعميق قاعدته الشعبية، ولولا حجارة الأرض التي رشق بها فتية الانتفاضة الشعبية جنود الاحتلال المدججين بالأسلحة القاتلة، ما كانت الأنفاق لتُشقّ في أعماق هذه الأرض بعد عقود من ذلك، كي تتهيّأ للإثخان في العدوّ. ولولا تجارب الاشتباك الأولى بأسلحة فردية، ما كانت كتائب المقاومة الجرّارة وصناعاتها العسكرية لتفرض واقعاً جديداً على آلته الحربية التي ظُنّ أنها لا تُقهَر.

ظلّت التضحيات المبذولة على طريق المقاومة وقوداً لمزيد من البذل، وجاء ارتقاء القادة والمؤسِّسين عبر المحطّات المتعاقبة ليُعبِّد مسيرة التضحيات من بعدهم؛ ذلك أنّهم قدّموا المِثال المرئيّ والمُلهِم للأجيال من أرواحهم ودمائهم.

إنعاش قيم المقاومة عبر الثقافة الجماهيرية

إنّ الفكرة التي تبقى حبيسة المقولات والكتب والدروس قد تعجز عن بلوغ الجماهير العريضة وكسب عقولها وقلوبها، وغالباً ما يُخلي القصور في التواصل الجماهيري السبُل لأفكار مُضادّة وتأثيرات مُناوئة. لكنّ الثقافة الجماهيرية تتطلّب أدواتٍ ليست متيسِّرة دوماً، خاصة لمجتمعات المقاومة التي لا تحوز امتياز تكافؤ الفرص مع أنظمة الاحتلال الاستعماري وداعميها. ثمّ إنّ الصناعة الثقافية الجماهيرية تخضع اليوم لمركزية شديدة في منابعها وخطوط إنتاجها، إذا ما تعلّق الأمر بوسائل بالغة التأثير في هذا الشأن، مثل السينما والأعمال الفنية والنشر والصناعة الثقافية إجمالاً. وعليه؛ لا يصحّ تجاهل ما تقرؤه أجيال المجتمع، وما تسمعه، وما تشاهده، أو اختياراتها الاستهلاكية والترفيهية مثلاً، فلذلك كلّه تأثيراته على الوعي الجمعي، وقيم المجتمع، وتوجّهات الجمهور، والحسّ العام.

لا شكّ أنّ هذا يُمثِّل تحدِّياً بالنسبة لمشروع المقاومة، يفرض عليها أن تتبنّى رؤية ثقافية مُستوعِبة، وخيارات ثقافية بنّاءة، وأن تمضي في الوقت ذاته نحو استثمار مخزونات التضامن والتعاطف والتفاعل والقيَم في البيئات الخارجية؛ لإنعاش روح المقاومة في أعمال الثقافة الجماهيرية المتجاوزة للجغرافيا والثقافات والمجتمعات.

استلهام ثقافة المقاومة حول العالم

أظهرت تفاعلات «طوفان الأقصى» أنّ المجتمع الفلسطيني، المُستند إلى إيمانه وثقافته وقيمه، الحاضِن لمقاومته الباسلة في الميدان؛ قادر على شحن جماهير وأوساط حول العالم بإشعاع قيمي مُلهِم، له شواهده المتعدِّدة، ورموزه المتداولة. تميّزت حالة المواكبة والمعايشة الجماهيرية هذه بأنّها غير مسبوقة في مستواها وكثافتها واستمراريّتها، فاكتشفت جماهير وأوساط في قارّات الأرض نموذجاً إنسانياً مختلفاً عن مألوفها النمطي، وتوقّعاتها المُسبقة. فقد بزغت من مجتمع المقاومة معانٍ عميقة، وقيَم نابضة، بعد أن أزاحت جانباً، النزعات المادية السائدة، والثقافة الاستهلاكية المعولمة، والأنانية الفردانية الصاعدة.

بزغت ثقافة المقاومة من فلسطين، وأشعّت على العالم بخيارات قيمية نبيلة، في الوقت الذي اختبرت غزّة قيَم عالمها، ومحّصت مواثيقه الدولية، التي جرى إسقاطها على رؤوس الأشهاد من جانب داعمي الاحتلال، ومساندي الإبادة، الذين يتباهَوْن بمقولاتهم الأخلاقية، ومزاعمهم القيمية، دون أن يمتثلوا لمقتضاها عندما تخالف مصالحهم.

قدّمت المقاومة الباسلة وشعبها المصابر نموذجاً للعالم في الكفاح العادل، والصمود الباهر لأجل الحرية، وبذل التضحيات العزيزة على هذا الطريق، وفي الصبر والاحتساب والتجلُّد، رغم فظاعة العدوان ووحشية الإبادة. مثّلت هذه التجربة خبرة جديدة لأجيال

الحاضر حول العالم، التي لم تعِش نضالات حركات التحرُّر من الاحتلال والاستعمار، ولم يتأتّ لها أن تُدركَ واقع عالمها بمعزل عن شعاراته البرّاقة التي لا يُمتثَل لكثير منها في الواقع. أيقظت هذه الخبرة عقولاً وقلوباً، فأعادت اكتشاف قضية فلسطين ونكبة شعبها، وقدحت شرارة وَعي استثنائية في الأذهان والوجدان بشأن مفاهيم الحرية والحقّ والعدل والنضال، وحفّزت استلهام موارد القوّة والصلابة والصمود في تجربة شعب فلسطين، بما في ذلك التقصِّي عن مغزى المعين الإيماني العميق.

بعثت ثقافة المقاومة الحيّة في فلسطين أصداء مدوِّية في ميادين العالم، فالجماهير الهادرة في بقاع الأرض لم تعُد تقتصر على «تعاطف مع ضحايا»، ذلك أنّها تتضامن الآن وأكثر من أي وقت مضى مع كفاح هذا الشعب، وتُنادي بحريّته، وتدعم مطالبه العادلة من النهر إلى البحر.

تواصُل الأجيال والوعي بالتحوّلات القيمية والثقافية

إنّ المجتمع المقاوم هو حالة متجدِّدة وعابرة للأجيال، ما يُملي عناية بأولويّة التوريث الإيجابي لقيم المقاومة، وحذراً من حصول فجوة سلبية بين الأجيال، خاصة مع التحوّلات الاجتماعية والقيمية المتسارعة من جانب، وأخذاً بعين الاعتبار أنّ معظم المجتمع الفلسطيني، وكذلك المجتمعات العربية والإسلامية تقريباً، ممّن تقلّ أعمارهم عن الخامسة والعشرين، وبالتالي تكون هذه المجتمعات

عرضة لتحوّلات سريعة نسبية مع بزوغ الأجيال الجديدة، دون أن يقضي ذلك بأن تكون هذه التحوّلات سلبية في جملتها.

ممّا يعزّز أهمية ذلك، أنّ بعض التحوّلات الاجتماعية والقيمية تضغط على روح المقاومة، أو تستنزف مجتمعها، أو تُربك أولويّاته. فثمة تحوّلات اجتماعية وقيمية تتسارع على مستوى المجتمعات عموماً، وبعضها يمسّ الاستقرار الأسري والتماسك المجتمعي، أو يُعلي النزعات الفردانية والروح الأنانية، ويُذكي حمّى الاستهلاك والتقمّص الثقافي في زمن العولمة، لكنّ بعضها الآخر إيجابي، ويتيح فرصاً غير مسبوقة، ومكتسبات متعدِّدة، على صعيد تشبيك الجماهير، وتنمية المشروعات، وروح المبادرة، وتطوير القدرات، وقابليات الإبداع.

عوائق ومثبِّطات

ثمّة عوائق ومثبِّطات تؤثِّر في الاتجاه العكسي لثقافة المقاومة، منها:

- المضامين التعليمية والثقافية والإعلامية والشبكية، التي تروِّج مفاهيم تتعارض مع هوية الأمّة الدينية والحضارية، ومنها ما يستهدف الدين والثقافة والمنظومة القيمية بمساعٍ منهجية على طريقة «حروب الأفكار». ممّا يزيد من وطأة هذه المضامين، أنّ كثيراً من المنصّات الإعلامية والثقافية المتمكِّنة على مستوى العالم العربي، مكرّسة للهبوط باهتمامات الجماهير، وإشغالها عن قضايا الساعة، وصرفها عن ثقافة المقاومة، وعزلها عن موارد قوّتها الحضارية.

- سعي كيان الاحتلال وداعميه إلى كيّ وعي الشعب الفلسطيني وأمّته، من خلال حروب الإبادة والتهجير والتجويع والإذلال، وجرائم الحرب، واقتراف فظائع مرئية يُراد منها – ضمن مقاصد متعدِّدة – التيئيس من خيار المقاومة وإمكانية التحرير واستعادة الحرية الناجزة والحقوق الثابتة.
- المحاولات الدؤوبة لطمس مشاهد المقاومة والتحدِّي والصمود واستعلاء الإرادة الشعبية، عبر الدفع بمشاهد الحاجة الإنسانية المُبرمجة من واقع حرب التجويع المنهجية، واصطناع مشاهد ومواقف مُكرّسة لإذلال شعب المقاومة والتضحيات، وامتهان كرامته الإنسانية، وكسر عزّة نفسه.
- تراكُم التأثيرات السلبية المُزمنة جرّاء اتفاقات الإذعان للاحتلال، وإنشاء أجهزة أمنية لخدمة الاحتلال تتخلّل المجتمع، وتفرض سطوتها عليه، وتنهمك عبر أذرعها الدعائية في تثبيط روح المقاومة والتحدِّي.
- تفاقُم المضامين الدعائية المضلِّلة، وحملات التشويه والتحريض، التي تتحرّك بصفة موّجهة في مواقع التواصل وبعض المنصّات الإعلامية، لأجل عزل فلسطين ومشروع المقاومة عن وجدان شعوب الأمّة وجماهيرها. وكلّما تقدّم مشروع المقاومة وأحرز مزيداً من الإنجازات والمكتسبات، فإنّ هجمة التضليل والتشويه والتحريض ستتعاظم على الأرجح؛ لأنّها حرب ضارية على الوعي.
- تدجين أجيال من الكفاءات والنُّخَب من خلال الاستخدام في مواقع الوظيفة العمومية، أو عبر تشغيلها في منظّمات غير حكومية، مرتهنة لإملاءات المانحين الغربيين وأولويّاتهم، التي لا تتوافق مع خيارات شعبهم ومشروع المقاومة والتحرير.

- شحّ الموارد المادية الذاتية للشعب ومشروع المقاومة، قياساً بالمتطلّبات الهائلة التي تحتاجها الصناعة الثقافية المُتقنة القادرة على الحضور والمنافسة، وهذه علّة مزمنة لازمت حركات التحرّر ونضالات الشعوب في وجه الاحتلال والاستعمار والهيمنة.

- ارتهان بعض المحسوبين على المشهد الثقافي والفني والأدبي لأولويّات المموِّلين والداعمين والمانحين، وعدم تكافؤ قدرات الاستقطاب والتشغيل في هذا الصدد؛ فتتسرّب وفرة من مبدعي الشعب والأمّة والكفاءات الواعدة، لتصبّ في خدمة جهود ومضامين ثقافية وفنية وأدبية لا تنسجم مع قضايا الشعب وأولويّات المقاومة ومشروع التحرير.

- هيمنة صناديق التمويل الأوروبية والغربية على إنتاج الأفلام السينمائية الفلسطينية كما بعض الأفلام العربية المتوسطية، علاوة على تأثيرات التطلّع إلى الحضور في المهرجانات السينمائية الأوروبية والغربية على مضامين هذه الأفلام ومقارباتها. يسري هذا الواقع بأقدار نسبية على بعض مجالات العمل الثقافي والفني والأدبي أيضاً. أدّى هذا المعطى إلى ضمور ثقافة المقاومة في العديد من هذه الأعمال والجهود، بل واشتمالها على مضامين مضادة أو قادحة بانتماء بعضها لهذا الشعب وقضيّته.

- تقييد المضامين المعبِّرة عن ثقافة المقاومة في مواقع التواصل الاجتماعي، من خلال حظر الحسابات، أو إبطاء التفاعل معها، أو حذف مضامين معيّنة فيها.

فرص وآفاق

تتوفّر لثقافة المقاومة فرص محفِّزة، وتنفتح أمامها آفاق واعدة، ومن شأن هذا أن يُوجِّه إلى ضرورة العناية بها وحُسن استثمارها، ومن ذلك على سبيل المثال:

- المكتسبات التي تحقّقت مع «طوفان الأقصى» وارتداداته ومخاضاته، على مستوى حالة الوعي الجماهيري والثقافي العامّ.
- انقشاع دعاية الارتهان التطبيعي الساذجة، التي حاولت تضليل الشعوب، وترويج صورة مزيّفة لكيان الاحتلال، الذي أسفر من بعد عن نزعته العدوانية ومسلكه الوحشي.
- التأثير الإيجابي الواضح لموسم الطوفان على العديد من وجوه المشهد الثقافي والفني والأدبي على المستوى العربي والإسلامي.
- حِرص مثقّفين وفنّانين وأدباء على مستوى الأمّة والعالم على تقديم أعمال جديدة من وحي الحدث وتفاعلاً معه، ومن شأن ذلك أن يدفع بوفرة متزايدة من الأعمال الثقافية والفنية والأدبية بعون الله.
- المخزون الهائل من الطاقات الكامنة في مجالات العمل الثقافي والفني والأدبي على مستويات الشعب والأمّة والعالم، التي تنتظر من يُنقِّب عنها ويستنفرها ويحفِّزها ويوجّهها، كي تعمِّم ثقافة المقاومة، وتتألّق في المساهمة الإبداعية في إنعاشها.

- بروز كثافة غير مسبوقة من الرمزيات الجماهيرية المُلهمة، عبر الشعب والأمّة والعالم، من وحي وجوه برزت، ووقائع تجلّت، ومواقف مشهودة، وتضحيات مرئية، دفع بها الطوفان وارتداداته في الميدان، وجدت هذه الرمزيّات سبيلها سريعاً إلى فضاءات التعبير عن مساندة قضية فلسطين، ودعم المقاومة في البيئات كافّة.

- الصعود المتزايد للمحتوى الشبكي بحجمه المتضخّم وانتشاره المتعاظم وتأثيره المتزايد، على نحو يشكّل روافد داعمة نسبياً لثقافة المقاومة عبر البيئات والثقافات، قياساً بالمنحى التوجيهي والتحكّمي الذي يغلب على الصناعة الإعلامية والثقافية المعولمة، وحتى في العالم العربي نسبياً. يبقى مفعول مواقع التواصل الشبكية مهماً وواعداً في هذا الصدد، رغم القيود والتحيّزات المفروضة عليها.

- تدفّق كمّ متعاظم من المواد الثقافية والفنية والأدبية بلغات العالم، دعماً لفلسطين وشعبها وقضيتها، وبروز العديد من المبادرات والمنصّات الجديدة في هذا الشأن.

- ظهور أشكال متجدِّدة ومُبتكرة من الفعل التضامني حول العالم، اتّخذ بعضها تمظهرات ثقافية وفنّية وأدبية، وهو اتّجاه مرشّح للتنامي والتراكم.

مفاهيم وخلاصات

- ليست ثقافة المقاومة أعمالاً ونشاطات معزولة عن الواقع، فهي ثقافة حاضرة في الحياة اليومية عبر مظاهر وتعبيرات متعدِّدة.
- تتجلّى ثقافة المقاومة بمعناها العام في روح المجتمع ومظاهر الحياة عموماً؛ وفي تصوّراته ومواقفه وتفاعله بشأن القضيّة خصوصاً. أمّا بالمعنى الخاصّ، فلا مقاومة ناجزة بدون ثقافة وفنون وآداب تُشعّ بقيَمها، وتحمل رسائلها، وتشحن جماهيرها.
- لا غنى للمقاومة عن الأعمال الثقافية والفنون والآداب بأنواعها. ومن مقتضيات تطوُّر مشروع المقاومة أن تتنامى الجهود الثقافية والفنية والأدبية المعبِّرة عنها والداعمة لها.
- لا يصحّ تنميط ثقافة المقاومة في قوالب محدّدة، أو تقاليد مستهلكة، أو تعبئة رتيبة، إذ يجدر بها أن تأتي على أنواع شتّى، وبأساليب متنوِّعة، وأنماط متجدِّدة، وأن لا تقتصر في انبثاقها على أطر المقاومة ومؤسّساتها المتخصصة.
- يجدر التعبير عن ثقافة المقاومة من عموم المشهد الثقافي والفني والأدبي، وجملة المساهمات والمبادرات التي يدفع بها المثقفون والفنانون والأدباء والمبدعون، على مستويات الشعب والأمّة والفضاء الإنساني الواسع، وينبغي السعي إلى تحفيز هذه الحالة.
- مشروع المقاومة ثورةً على ثقافة الهزيمة وحمّى التثبيط ونوازع التيئيس وروح العجز، التي أشاعتها صدمات النكبة

والاحتلال، وغذّاها علوّ المحتلّ الغاشم، وتسيُّد الهيمنة الخارجية، وضمور ثقة الأمّة الحضارية بذاتها. وفكرة المقاومة إبحار عكس تيّار التقاعس والتخاذل، وضدّ الإذعان لواقع جائر فُرِض على فلسطين وأمّتها.

- تنقدح الثورة على ثقافة الهزيمة، من الانشغال بمعالي الأمور، وبذل الغالي والنفيس على طريقها، ومفارقة حال الركون إلى العجز والتثاقل إلى الأرض. وتعيد هذه الثورة صياغة الإنسان والمجتمع والجماهير على أساس مفاهيمي يضع الأمور في نصابها.
- لا تنفكّ ثقافة المقاومة عن فعلها، ويتأهّل الحدث الذي تصنعه المقاومة لأن يُحرِّك المشهد الثقافي من حوْله، ويتحقّق هذا بالمعنيَيْن العامّ والخاصّ للثقافة. فالمخاضات والأحداث الكبرى التي تشهدها تجارب المقاومة والتحرُّر، تفرض أولويّات الاهتمام والتناول والتداول الجماهيري والثقافي.
- ما إن دشّن «طوفان الأقصى» عهداً جديداً في جهاد شعب فلسطين، حتى صعدت ثقافة المقاومة إلى مستوى جديد، من الحضور والتأثير والإلهام في واقع شعبها، وفضاء أمّتها، وتفاعل عالمها.
- مع فظائع الإبادة والتجويع والترويع وجرائم الحرب الوحشية، تجلّى كيان الاحتلال على حقيقته لعالم يسمع ويرى ويُواكب ما يقترفه، فشكّل لحظة وعي استثنائية على مستوى الأمّة والعالم.
- تتأهّل التضحيات المبذولة عبر الأجيال، لتعميق ثقافة المقاومة وتجذيرها وتعميمها عبر أوساط المجتمع وشرائحه

وفئاته وجماهيره. ولتجارب التضحية المحمولة من جيل إلى جيل آثارها المشهودة في مشروع المقاومة، وتعميق قاعدته الشعبية.

- الفكرة التي تبقى حبيسة المقولات والكتب والدروس قد تعجز عن بلوغ الجماهير العريضة وكسب عقولها وقلوبها، وغالباً ما يُخلي القصور في التواصل الجماهيري السبُل لأفكار مُضادّة وتأثيرات مُناوئة.
- لا مناص من إنعاش قيم المقاومة عبر الثقافة الجماهيرية، لكنّ الصناعة الثقافية الجماهيرية تتطلّب أدواتٍ ليست متيسِّرة دوماً، خاصة لمجتمعات المقاومة التي لا تحوز امتياز تكافؤ الفرص مع أنظمة الاحتلال الاستعماري وداعميها.
- لا يصحّ تجاهل ما تقرؤه أجيال المجتمع وما تسمعه وما تشاهده أو اختياراتها الاستهلاكية والترفيهية مثلاً، فلذلك كلّه تأثيراته على الوعي الجمعي وقيم المجتمع وتوجّهات الجمهور والحسّ العام.
- على مشروع المقاومة أن يتبنّى رؤية ثقافية مُستوعِبة، وخيارات ثقافية بنّاءة، وأن يمضي في الوقت ذاته نحو استثمار مخزونات التضامن والتعاطف والتفاعل والقيَم في البيئات الخارجية؛ لإنعاش روح المقاومة في أعمال الثقافة الجماهيرية المتجاوزة للجغرافيا والثقافات والمجتمعات.
- بزغت ثقافة المقاومة من فلسطين، وأشعّت على العالم بخيارات قيمية نبيلة، في الوقت الذي اختبرت غزّة قيَم عالمها، ومحّصت مواثيقه الدولية التي جرى إسقاطها على رؤوس الأشهاد.

- مثّلت هذه التجربة خبرة جديدة لأجيال الحاضر حول العالم، فأيقظت هذه الخبرة عقولاً وقلوباً أعادت اكتشاف قضية فلسطين ونكبة شعبها، وقدحت شرارة وَعي استثنائية في الأذهان والوجدان بشأن مفاهيم الحرية والحقّ والعدل والنضال، وحفّزت استلهام موارد القوّة والصلابة والصمود في تجربة شعب فلسطين، بما في ذلك التقصّي عن مغزى المعين الإيماني العميق.
- بعثت ثقافة المقاومة الحيّة في فلسطين أصداء تضامنية مدوِّية في ميادين العالم مع كفاح هذا الشعب، تُنادي بحريّته، وتدعم مطالبه العادلة من النهر إلى البحر.
- المجتمع المقاوم حالة متجدِّدة وعابرة للأجيال، ما يُملي عناية بأولويّة التوريث الإيجابي لقيم المقاومة، وحذراً من حصول فجوة سلبية بين الأجيال.
- بعض التحوّلات الاجتماعية والقيمية في زمن العولمة تضغط على روح المقاومة، أو تستنزف مجتمعها، أو تُربك أولويّاته، على أنّ بعضها الآخر يُتيح فرصاً غير مسبوقة، ومكتسبات متعدِّدة على صعيد تشبيك الجماهير، وتنمية المشروعات، وروح المبادرة، وتطوير القدرات، وقابليات الإبداع.
- ثمّة عوائق ومثبِّطات تؤثِّر في الاتجاه العكسي لثقافة المقاومة، على مستوى المضامين التعليمية والثقافية والإعلامية والشبكية، والتأثيرات الموجّهة لضرب ثقافة المقاومة واستهداف المنظومة القيمية.
- يسعى كيان الاحتلال وداعموه إلى كيّ وعي الشعب الفلسطيني وأمّته، من خلال حروب الإبادة والتهجير

والتجويع والإذلال وجرائم الحرب واقتراف فظائع، والمحاولات الدؤوبة لطمس مشاهد المقاومة والتحدِّي والصمود، عبر اصطناع مشاهد ومواقف مُكرّسة لإذلال شعب المقاومة والتضحيات وامتهان كرامته.

- كلّما تقدّم مشروع المقاومة وأحرز مزيداً من الإنجازات والمكتسبات، فإنّ هجمة التضليل والتشويه والتحريض التي تستهدف إضعاف ثقافة المقاومة ستتعاظم على الأرجح؛ لأنّها حرب ضارية على الوعي.
- من العوائق والمثبِّطات في وجه ثقافة المقاومة تراكُم تأثيرات سلبية مُزمنة جرّاء اتفاقات الإذعان للاحتلال، وإنشاء أجهزة أمنية لخدمة الاحتلال، تتخلّل المجتمع، وتفرض سطوتها عليه وتنهمك عبر أذرعها الدعائية في تثبيط روح المقاومة والتحدِّي.
- ومن العوائق والمثبِّطات شحّ الموارد المادية الذاتية للشعب ومشروع المقاومة، قياساً بالمتطلّبات الهائلة التي تحتاجها الصناعة الثقافية المُتقنة القادرة على الحضور والمنافسة، وارتهان بعض المحسوبين على المشهد الثقافي والفني والأدبي لأولويّات المموِّلين والداعمين والمانحين، وعدم تكافؤ قدرات الاستقطاب والتشغيل في هذا الصدد.
- على ضوء المكتسبات التي تحقّقت في حالة الوعي الجماهيري والثقافي العام مع «طوفان الأقصى» وارتداداته ومخاضاته؛ تتوفّر لثقافة المقاومة وفرة من الفرص المحفِّزة، وتنفتح أمامها آفاق واعدة، ومن شأن هذا أن يُوجِّه إلى ضرورة العناية بها وحُسن استثمارها.

احتلالٌ يُعانِدُ سُنَنَ التاريخ

أوهامٌ تتقشع
ومشروع يأفل

مأزق مشروع مُلفّق

سعى المشروع الصهيوني، الذي صُنع على عين قوى استعمارية، إلى تلفيق كيان مصطنع في فلسطين، حسب نموذج استعماري استيطاني إحلالي، فاقتضى المسعى نسج أساطير عن الأحقيّة المزعومة بالبلاد، والسطو على تاريخها، تمهيداً للسيطرة على جغرافيّتها واقتلاع شعبها واستغلال مواردها. لجأ هذا المشروع الجائر إلى تجاهُل شعب فلسطين وإنكار وجوده بصفة متلازمة، مع تلفيق صفة «شعب» مُنتحَلة لهؤلاء المُستعمِرين، ومحاولة صهْرهم في بوتقة مجتمع الاحتلال والاستيطان الموعود بالأمان المديد والعيْش الرغيد.

تورّط المحتلّون الغاصبون مع شعب فلسطين، عندما لم تُفلح حملة اقتلاعه من أرضه وديارِه في إخراجه من التاريخ، وإنهاء وجوده، وكسر إرادته، رغم النكبة المريرة التي صنعوها، فما زال هذا الشعب يطالب بحقوقه، ويقارع الغاصبين، ويتحدّى سطوتهم، ويبذل التضحيات الغالية جيلاً بعد جيل، دون أن يكفّ عن سعيه إلى التحرير والعودة. إنّ بقاء جذوة هذه القضية العادلة متأجِّجة في قرْنها الثاني منذ منشأ الصراع، واستمرارها متصدِّرة في مركز الاهتمام العالمي وشواغل السياسة الدولية، يكشفان عجْز الاحتلال ورُعاته وداعميه عن الإجهاز على هذه القضية الحيّة وكسْر شوكة شعبها.

تعاقبت الثورات والانتفاضات والهبّات وتضحيات المقاومة الباسلة عبر أجيال هذا الشعب، وساندته أمّته وأحرار عالمه، ثمّ جاء «طوفان

الأقصى» برهاناً مرئياً للعالم أجمع على مارد إرادته الحرّة، بعد محاولات متعاقبة لتصفية قضيّته، وفرض الإذعان عليه.

لحظة انقشاع الوهم

جرف «طوفان الأقصى» كيان الاحتلال عن مواضعه، وزلزله من حيث لم يحتسب الذين أُشرِبوا في قلوبهم أوهام حصانته ومفعول سطوته، فإذْ بصباحِ الإقدام الجسور يُسقِط معادلات الترهيب التي فُرِضت على فلسطين وأمّتها وعالمها عقوداً مديدة. وكز المجاهدون المتسلِّحون بإيمانهم ويقينهم، المتقدِّمون بشجاعتهم وتضحياتهم بُنيانَ السطوة المرئية للعالم أجمع، التي صُبّت فيها خلاصة خبرات التحصين الأمني والتقني والعسكري المتطوّرة، وظنّوا أنّهم مانعتهم حصونهم من أقدار الله تعالى وسننه في تاريخ البشر.

مثّل الطوفان لحظة انقشاع الوهم بحقيقة هذا الاحتلال واليقين الساذج باستدامته، فإذْ بمعاقل السطوة والغطرسة والاستكبار تتهاوى كقلعة من رمال، جرفها موْج المُقاومين المقتحمين في ساعةٍ من صباح.

انقشع الوهْم، ثمّ تجلّت حقائق مُستجدّة من واقع عجز الجيش المُعزّز بقوى عظمى تجنّدت من فوْرها لإسناده؛ عن كسر إرادة هذا الشعب في الميدان، أو اقتلاع شوكة مقاومته الصلبة شهراً بعد شهر، رغم إمعان الغزاة في التقتيل والتدمير والتشريد والتجويع. اندفعت هذه الوحشية إلى مُطاردة عابثة، ابتغاء إعادة نسج أوهام قوّتها

وحصانتها من جديد، فما زادها الانزلاق في الميدان إلاّ عجزاً، ولا الشرب من دماء العُزّل إلاّ عطشا.

معاندة سنن التاريخ

إنّ إقدام الاحتلال وداعميه على مسلك الإبادة الجماعية، والتطهير العرقي، وجرائم الحرب الوحشية، على مرأى من العالم ومسمع في القرن الحادي والعشرين، المكلّل بالمواثيق الإنسانية والشعارات الأخلاقية؛ تجلّى للعيان مؤشِّراً من مؤشِّرات الأفول. إنها أعراضٌ تعتري مشروعات البغي والعدوان، عندما تدرك لحظتها المصيرية، وتستشرف نهاياتها الوشيكة، ثم تُكابِر بالركون إلى أوهام البقاء، فتلجأ إلى معاندة سُنَن التاريخ بكلّ ما أوتيت من سطوة، وتندفع إلى تعجيل أفولها من حيث لم تحتسب. هذا ما فعلته قيادة الاحتلال عندما تعجّلت بإعلانها «معركة وجودية» تحت شعار «إمّا نحن أو هُم»، فتجرّعت الخيْبات من بعد. وهكذا تُقيم الشعوب الحجّة على مغتصبي حقوقها، عندما تُقاوِم طغيانَهم، وتقارع سطوتهم، فتُظهِر حقيقتهم، وتفضح ادِّعاءاتهم على رؤوس الأشهاد، ولا تزيدها التضحيات الجسام إلاّ عزيمة على مواصلة المسيرة والتمسّك بالمطالب.

تتهاوى وعود المشروع الاستعماري الاستيطاني الإحلالي لمستوطنيه بالأمان المستقبلي والوفرة الاستغلالية، عندما تصير البلاد المحتلّة بيئةً طاردة بلا عيش آمِن، أو مكاسب تُرجى من إطالة المكوث فيها، فكيف إن صار الانتساب إلى كيان الاحتلال والإبادة وصمة عار وشنار على المستعمرين، في عالم يسيحون فيه ويحرصون على

امتيازاته؟! لا عجب أن يتحيّن المستوطنون الفرص لإيجاد مواطئ أقدام لهم في أرض الله الواسعة، يلوذون بها عندما تتزلزل الأرض من تحت أقدامهم. بلغ الأمر أن تنتفض أجيال جديدة من يهود العالم ضدّ هذا الاحتلال، وتتبرّأ من الموبقات التي تُقترَف باسمها، وأن تُنادي بحرية فلسطين وحقوق شعبها، بعد أن عُدّ هؤلاء رصيداً مضموناً لدعم الاحتلال وإسناده.

سقوط الأساطير وتهاوي الدعاية

نسَج الاحتلال صورة مزيّفة عنه روّجها في العالم، مشفوعة بادِّعاءات الالتزام الإنساني والسموّ الأخلاقي، التي تُناقِض حقيقته وتُعارض مسلكه. ارتدّت حيلة الادعاء الساذجة على أصحابها، عندما اكتشف الواهمون الواقع المحجوب عنهم مجرّداً من دعاية التزييف وأحابيل التضليل، فاستبانت لهم صورة مجتمع استيطاني عسكري مكرّس للسيطرة التوسعية، والعدوان الجائر، وقهر أصحاب البلاد.

امتلأ الاحتلال زهواً بقدراته الدعائية الجرّارة التي حَسِب أنها تقتدر على قلب الحقائق، وحجب الوقائع، وتصوير الباطل حقّاً والحقّ باطلاً، دون أن يعِيَ عجز أحابيل الدعاية جميعاً عن طمْس الحقيقة الجليّة أبدَ الدهْر. يُعاند هذا الاحتلال منطق العصر، عندما لا يُريد للعالم في زمن الصورة الحيّة والبثّ المباشر والأجهزة المحمولة أن يرى ويسمع ويُواكب ما يقترفه، فما زال يرجو أن تكتفي الشعوب والجماهير بما يضخّه المتواطئون معه من منصّاتهم السياسية

وأبواقهم الإعلامية. ولا تكفّ سطوة الاحتلال عن مطاردة مَن ينقلون الصورة الحيّة إلى العالم بالقتل والترهيب والعقاب والحظر، عملاً بمنطق الطغيان المُتهالِك في فرض رواية أحادية مُتعالية على العالمين: «ما أريكم إلاّ ما أرى». وما إنْ تستبينَ الحقائق وينقشع الزيْف، حتى تنتفض الضمائر، وتتحرّك الجماهير التي تُدرك أنّ التزاماتها المبدئية تفرض عليها مساندة حرية فلسطين وحقوق شعبها.

أظهر زمن «الطوفان» كم أنّ هذا الاحتلال مسكون بالهلع من انكشاف الحقائق للعالَمين، والرهبة من عواقب المستقبل الذي يوشك أن يحتويَه، فلم يتورّع عن ترهيب العالم أجمع، ورفع سياط التقريع في وجه كلّ مَن يجترئ على نقد جرائمه، حتى مسّ الأمر هيئات العمل الأممي، والمحاكم الدولية، وجامعات الرِّيادة، وحتى قادة دول واصلوا رعايَته وإسناده.

انكشاف عجز دولة طفيلية

نزع «طوفان الأقصى» الأستار عن أدوار الرعاية والدعم والإسناد التي ما كان لمشروع الاحتلال أن ينهض بدونها أو أن يستمرّ. تجلّى الكيان على حقيقته دولةً طفيلية عاجزة عن تدبير أمرها وتشغيل قدراتها وحماية ذاتها؛ رغم كلّ ما أُسبِغ عليها منذ قيامها، من إمكانات هائلة لم تحظَ بمثلها أي دولة أخرى في هذا العالم، بما في ذلك السلاح النووي وأعتى منظومات الأمن والحماية.

ظهر واقع الانكشاف الاستراتيجي الحَرِج الذي ما زال يُلازم هذا

الكيان، فما أن أطلق صرخات الهلع من فعل «الطوفان»، حتى تحرّكت الأساطيل وحاملات الطائرات والجسور الجوية من فورها لإنقاذه، وسارع قادة «دول عظمى» ومن يدور في فلكهم إلى الهبوط العاجل في فلسطين المحتلة، فأكّدوا بصنيعهم هذا أنّ هذا الكيان محمية عاجزة تتبعهم، وامتداد استراتيجي لمصالحهم؛ وليست دولة قائمة بذاتها تقتدر على مواجهة التحدِّيات والتعامل مع المخاطر.

شرعت قوى الرعاية والدعم والإسناد إلى استنفار طاقاتها، وحشد قواها، وضخّ مساعداتها، وإغداق أموالها في خندق الاحتلال، فبرهنت من حيث لم تحتسب على عجزه الاستراتيجي، وفضحت اعتماديّته المُفرِطة على رُعاته وداعميه، بعد ثلاثة أرباع قرن على إعلان دولته ورفع رايته.

زرعت لحظة «الطوفان» بذور الشكّ بمستقبل مشروع احتلال فلسطين، التي تستنبت أسئلة منطقية في رؤوس راسمي الاستراتيجيات، عن جدوى الاستمرار في تغذية حالة طُفيلية تعجز عن حماية ذاتها، رغم كلّ ما يُغدَق عليها، علاوة على أنّها حالة موبوءة بحمّى الإبادة المشهودة، والهوَس العنصري المتعاظم، والتشنّج الفاضح في الخطابات والمواقف، التي ترتدّ على رُعاتها وداعميها بأعباء سياسية ومعنوية متزايدة.

ضريبة رعاية الاحتلال تتفاقم

من أمارات الأفول أنّ ترتفع ضريبة الرعاية والدعم، فتثور الشكوك في رؤوس الرعاة والداعمين بجدوى المشروع المصطنع، الذي يتجلّى

ضموره الاستراتيجي وعجزه عن حسم الموقف في مُنازلات الميدان، وتتفاقم الأثمان المترتّبة على الانحياز إليه والتستُّر عليه.

- فالانزلاق إلى خندق الاحتلال في عدوانه المشهود يجرّ على أصحابه تهديداتٍ وأضراراً وخسائر متعدِّدة، لا يُستهان بها على المدى البعيد، ولهذا المتغيِّر عواقبه في عالم تتنافس فيه الأقطاب، وتتزحزح فيه موازين القوى عن مواضعها.
- وكيان الاحتلال صار ملاحقاً بوصمة الإبادة الوحشية وجرائم الحرب البشعة في المحاكم الدولية والوطنية، ولن يبرأ الرعاة والداعمون من أعباء هذه الوصمة المغلّظة، وإن واصلوا الإفلات من المساءلة والمحاسبة.
- والاستمرار في تورية سلوك الاحتلال وتبرير انتهاكاته الجسيمة يفرض على الدول الراعية والداعمة أن تتجرف في تضليل شعوبها والعالم أكثر فأكثر؛ على نحو يهوي بشعاراتها، ويُضِرّ بمواقفها، وينزع عنها المصداقية.
- ومع اكتشاف الشعوب حقائق الاحتلال الجائر وإسناده السخيّ من جيوبها، فإنّها سترفع أصواتها ضدّ هذا الضلوع الآثِم الذي يستغفلها ويستنزف ضرائبها، فتنشب أزمات وتوتّرات داخلية بين اتجاهات السطوة القمعية وتحرّكات الاعتراض المتأجِّجة.
- ولن يتورّع المتنفِّذون عن تدبيج مدوّنات قانونية وإجرائية مكرّسة لزجر الشعوب وترهيب الجماهير من الإعراب عن موقفها، وإيقاع عقوبات مادية ومعنوية على هذا السبيل، مع تصعيد الحجر على موارد المعلومات، وتقييد حرية التعبير.

- وستحرص الحكومات والقوى المتنفِّذة على مزيد من التدخّل لتغيير التشريعات والأنظمة الداخلية في دولها ما أمكنها ذلك؛ لدرء المساس بالاحتلال، بالتلازم مع تصعيد الضغوط على الهيئات الأممية والمحاكم الدولية؛ لضمان استدامة الحصانة الممنوحة لهذا الكيان من المُساءلة والمحاسبة.

ستتفاقم هذه الأعراض التي تتراءى للعيان، إن أصرّ رعاة الاحتلال وداعموه على مواصلة نهجهم الذي يوقعهم في أزمات متفاقمة مع شعوبهم وعالمهم. وقد تجلّى للعيان مأزق قوى النفوذ الدولي الغربية في زمن «طوفان الأقصى»، التي اندفعت إلى دعم حملة الإبادة الوحشية وحرب التجويع الرهيبة وتبرير الأهوال التي صُبّت فوق الشعب الفلسطيني، فاستبان تناقضها مع شعاراتها، وتنكّرها لمواثيقها، ومروقها من المبادئ الإنسانية والأخلاقية التي مارست الوصاية على العالم باسمها.

سيتعيّن على رعاة الاحتلال وداعميه أن يقفوا في لحظة تاريخية معيّنة أمام استحقاق المُفاضلة بين مواصلة السقوط إلى القاع مع كيان لا مستقبل له؛ أو الوقوف إلى الجانب الصحيح في حركة التاريخ، ومنطق الحقوق والعدالة والإنصاف ونبض الشعوب والجماهير عاجلاً أو آجلاً، وسيكون الطريق إلى هذه المفاضلة محفوفاً بالتصدّعات المتزايدة، والتوتّرات المتفاقمة.

مفاهيم وخلاصات

- تورّط المحتلّون الغاصبون مع شعب فلسطين، عندما لم تُفلح حملة اقتلاعه من أرضه وديارِه في إخراجه من التاريخ، وإنهاء وجوده، وكسر إرادته، رغم النكبة المريرة التي صنعوها. وما زال هذا الشعب يطالب بحقوقه، ويقارع الغاصبين، ويسعى إلى التحرير والعودة.
- بقاء جذوة هذه القضية العادلة متأجِّجة في قرْنها الثاني منذ منشأ الصراع، واستمرارها متصدِّرة في مركز الاهتمام العالمي وشواغل السياسة الدولية، يكشفان عجْز الاحتلال ورُعاته وداعميه عن الإجهاز على هذه القضية الحيّة وكسْر شوكة شعبها.
- أسقط «طوفان الأقصى» معادلات الترهيب التي فُرِضت على فلسطين وأمّتها وعالمها عقوداً مديدة. ومثّل «الطوفان» لحظة انقشاع الوهم بحقيقة هذا الاحتلال، واليقين الساذج باستدامته.
- تجلّت حقائق مُستجدّة من واقع عجز الجيش المُعزّز بقوى عظمى تجنّدت من فوْرها لإسناده؛ عن كسر إرادة هذا الشعب في الميدان، أو اقتلاع شوكة مقاومته الصلبة.
- إقدام الاحتلال وداعميه على مسلك الإبادة الجماعية، والتطهير العرقي، وجرائم الحرب الوحشية، تجلّى للعيان مؤشِّراً من مؤشِّرات الأفول.
- عندما تدرك مشروعات البغي والعدوان لحظتها المصيرية، وتستشرف نهاياتها الوشيكة، ثم تُكابِر بالركون إلى أوهام البقاء، فإنها تلجأ إلى معاندة سُنَن التاريخ بكلّ ما أوتيت من سطوة، وتندفع إلى تعجيل أفولها من حيث لم تحتسب.
- تُقيم الشعوب الحجّة على مغتصبي حقوقها، عندما تُقاوِم طغيانَهم وتقارع سطوتهم، فتُظهِر حقيقتهم، وتفضَح ادِّعاءاتهم على رؤوس الأشهاد.

- تتهاوى وعود المشروع الاستعماري الاستيطاني الإحلالي لمستوطنيه بالأمان المستقبلي والوفرة الاستغلالية، عندما تصير البلاد المحتلّة بيئةً طاردة بلا عيش آمِن، أو مكاسب تُرجى من إطالة المكوث فيها.
- من متغيِّرات المشهد أن يصير الانتساب إلى كيان الاحتلال والإبادة وصمة تطارد المستعمرين الصهاينة حول العالم، كما أنّ أجيالاً جديدة من يهود العالم تنتفض ضدّ هذا الاحتلال، وتتبرّأ من الموبقات التي تُقترَف باسمها، وتُنادي بحرية فلسطين وحقوق شعبها.
- نسَج الاحتلال صورة مزيّفة عنه روّجها في العالم، مشفوعة بادِّعاءات الالتزام الإنساني والسموّ الأخلاقي، التي تُناقِض حقيقته وتُعارض مسلكه، ثم استبانت صورة مجتمع استيطاني عسكري مكرّس للسيطرة التوسعية، والعدوان الجائر، وقهر أصحاب البلاد.
- يُعاند هذا الاحتلال منطق العصر، عندما لا يُريد للعالم في زمن الصورة الحيّة والبثّ المباشر والأجهزة المحمولة أن يرى ويسمع ويُواكب ما يقترفه، فما زال يرجو أن تكتفي الشعوب والجماهير بما يضخّه المتواطئون معه من منصّاتهم السياسية، وأبواقهم الإعلامية.
- ما إنْ تستبينَ الحقائق وينقشع الزيْف، حتى تنتفض الضمائر وتتحرّك الجماهير، التي تُدرك أنّ التزاماتها المبدئية تفرض عليها مساندة حرية فلسطين وحقوق شعبها.
- أظهر زمن «الطوفان» كم أنّ هذا الاحتلال مسكون بالهلع من انكشاف الحقائق للعالَمين، والرهبة من عواقب المستقبل الذي يوشك أن يحتويَه، فلم يتورّع عن ترهيب العالم أجمع، ورفع سياط التقريع في وجه كلّ مَن يجترئ على نقد جرائمه.

- نزع «طوفان الأقصى» الأستار عن أدوار الرعاية والدعم والإسناد التي ما كان لمشروع الاحتلال أن ينهض بدونها أو أن يستمرّ. تجلّى الكيان على حقيقته دولةً طفيلية عاجزة عن تدبير أمرها، وتشغيل قدراتها، وحماية ذاتها.
- انكشف العجز الاستراتيجي الذي يعتري كيان الاحتلال، وتجلّت اعتماديّته المُفرِطة على رُعاته وداعميه، بعد ثلاثة أرباع قرن على إعلان دولته ورفع رايته، فتبيّن أنّه محمية عاجزة، وامتداد استراتيجي لمصالح قوى عظمى، وليس دولة قائمة بذاتها، تقتدر على مواجهة التحدِّيات والتعامل مع المخاطر.
- زرعت لحظة «الطوفان» بذور الشكّ بمستقبل مشروع احتلال فلسطين، ما يُثير أسئلة منطقية عن جدوى الاستمرار في تغذية حالة طُفيلية، تعجز عن حماية ذاتها، رغم كلّ ما يُغدَق عليها.
- من أمارات الأفول أنّ ترتفع ضريبة الرعاية والدعم؛ فتثور الشكوك في رؤوس الرعاة والداعمين بجدوى المشروع المصطنع، الذي يتجلّى ضموره الاستراتيجي وعجزه عن حسم الموقف في مُنازلات الميدان، وتتفاقم الأثمان المترتّبة على الانحياز إليه والتستُّر عليه.
- إنّ أصرّ رعاة الاحتلال وداعموه على مواصلة نهجهم، فسيقعون في أزمات مع شعوبهم وعالمهم، وسيعانون من تصدّعات متزايدة، وتوتّرات متفاقمة.
- سيتعيّن على رعاة الاحتلال وداعميه أن يقفوا في لحظة تاريخية معيّنة أمام استحقاق المُفاضلة بين مواصلة السقوط إلى القاع مع كيان لا مستقبل له؛ أو الوقوف إلى الجانب الصحيح في حركة التاريخ، ومنطق الحقوق والعدالة والإنصاف ونبض الشعوب والجماهير عاجلاً أو آجلاً.

من التضامن إلى الالتحام

المقاومة في أفقها الجماهيري العالمي

روافد الاحتلال وفضاءات المقاومة

جاء احتلال فلسطين نتاج مشروع استعماري استيطاني إحلالي، نضجت تحضيراته وتحرّكت مقدِّماته في الخارج، قبل تأهيله لتشكيل الحقائق الجائرة على الأرض في الداخل. وما زال كيان الاحتلال حالة طُفيلية في اعتماديّته على قوى النفوذ الدولي، التي ترعاه وتُسانده بمقوِّمات العلوّ وموارد البقاء.

من قصور التقدير أن يُنظَر إلى احتلال فلسطين على أنّه حالة موضعية، دون إبصار منابته وتعقُّب روافده، فقد كان ولا زال تعبيراً عن موازين قوى مختلّة أوْجدته وعزّزته وحمَتْه وساندته. على أنّ لفلسطين فرصاً كبرى مُختزنة في أحشاء أمّتها الإنسانية، وفضاء عالمها الفسيح؛ علاوة على الأدوار المؤكّدة المنشودة من أمّتها في المشرق والمغرب.

فرض «طوفان الأقصى» حقائق جديدة في مشهد الصراع في فلسطين، فاستنفر الاحتلال وداعموه المتنفِّذون عبر المشهد الدولي قُواهم، في حملة إبادة جماعية، وتدمير شامل، وجرائم حرب مشهودة، عرّت طبيعة هذا الاحتلال العدوانية الوحشية على مرأى من العالم، ونزعت الأقنعة عن رُعاته وداعميه، وأسقطت ادعاءاتهم الإنسانية والأخلاقية التي خذلوها في الواقع.

دشّن «الطوفان» مرحلة جديدة في التفاعل العالمي مع فلسطين، بعد أن تراكمت تجارب التضامن مع هذه القضية وخبرات المتفاعلين معها في بيئات شتى حول العالم. صارت مناصرة فلسطين ظاهرة

عالمية متعاظمة، يتقدّم بها مدّ جماهيري عارم، يُساند هذه القضية، ويترافع باسمها بألسُن الأرض ومن صميم ثقافاته.

من معالم هذه المرحلة الجديدة أنها أنعشت الوعي الجماهيري بحقائق قضية فلسطين، وبأولوية مساندة نضال شعبها بالقول والموقف والتصرّف، ورسمت مشهداً جديداً للتحرُّكات العالمية الضاغطة باتجاه دحر الاحتلال، وتحرير فلسطين من البحر إلى النهر.

قضيّة للناس كافّة

تتوجّه فلسطين بندائها للناس كافّة، أنْ تعالَوْا إلى كلمة سواء لإحقاق الحقوق، ونُصرة العدالة، وإعلاء الحرية، ومناهضة الظلم، ودفع العدوان. هكذا يتبيّن أنّ الامتثال للقيم والمبادئ والشرائع والمواثيق يقتضي الوقوف إلى جانب فلسطين ومساندة قضيّتها؛ التي تصير وفق هذا المنظور قضيّة الناس جميعاً.

لا يُفترَض بتنوّع الأمم والثقافات والأديان والألوان والخبرات، أن ينتصب عائقاً دون حمل قضية فلسطين العادلة ومناصرة مقاومة شعبها، بل يجدر أن تكون هذه السِّمات والخلفيات المتنوِّعة مُحفِّزة على إدراك القضية، ومعايشتها من زوايا نظر متفرِّقة، وانفعالات وجدانية متعدِّدة.

فالشعوب الأصلية التي قاست الإبادة والاقتلاع، تجد في قضية فلسطين مرآةً لخبراتها الأليمة، والأقوام التي جرّبت محنة الإبادة الثقافية واستئصال الهُويّة، تحسّ بما استهدف شعب فلسطين في

هذا المضمار، وتلك التي عانت من الغزو والاحتلال الجائر، تستشعر ما يعنيه مثل ذلك بالنسبة لغيّرها، والمجتمعات التي ذاقت مرارة الاضطهاد والفصل العنصري، تدرك فظاعة ما يمارسه محتلّو فلسطين الغاصبون من غطرسة واستعلاء، والأوساط التي تلحظ استفراد نُخَب متنفِّذة بالحظوة والقرار في بلادها، قد تلحظ كيف تتواطأ هذه السطوة مع الظُّلم العالمي الذي يتجلّى في فلسطين، والأمم التي جرّبت خبرات المقاومة والنضال لانتزاع الحريّة وتحقيق العدالة، أحرى بها أن تُسانِد هذه المبادئ والقيَم التي تُنتهك في فلسطين، والقوى التي ناهضت الجوْر وكافحت ضد السطوة الغاشمة بمُقاربات فكرية ومشارب فلسفية وصياغات «لاهوت التحرير»، ستجد في كفاح شعب فلسطين ومقاومته الصلبة المتسلِّحة بالإيمان والتصميم نموذجاً مُلهِماً يستحضر ذاكرتَها ويتّصل تجاربها. ثمّ إنّ فلسطين تُمثِّل في هذا المشهد البشري الفسيفسائي المتنوِّع، عنواناً جامعاً للمشترك الإنساني والضمير العالمي، وإن تعدّدت زوايا النظر إلى قضيّتها، ومقاربات التصرّف التضامني معها.

التعاطف مع الضحية لا يكفي

لا يكفي التعاطف مع ضحايا الشعوب التي تخوض ملحمتها العادلة، وليس من الإنصاف الاقتصار على مشهد الضحية المغلوبة على أمرها، والتنكّر لمشهد النضال الساعي لانتزاع حقّها من بين أنياب المُغتصب. فذَرْفُ الدموع على الإنسان الذبيح لا يردع قاتله عن مواصلة الذبح، دون أن يُقلِّل ذلك من أهمية التفاعل الإنساني

والانفعال الوجداني مع التضحيات المبذولة على طريق التحرّر.

إنّ التصوّرات والخطابات والمواقف التي تتلكأ في التضامن مع شعب فلسطين، أو تضع شروطاً لإبداء موقف مبدئي؛ لا تَرْقى في الواقع إلى مفهوم التضامن الحقّ، كما لا تُعبِّر عن التزام جادّ بمساندة قضية هذا الشعب، التي ينبغي أن تكون قضية مناصري الحرية والحقّ والعدل في كلّ مكان، وبلا تردُّد.

ثمّة تضامن زائف يقوم مثلاً على إظهار تعاطف شكليّ مع الضحايا، ونبذ مقاومة شعبهم المشروعة لدفع الظلم وإنهاء الاحتلال، أو استحباب القعود عن مواجهة العدوان. وليس من التضامن في شيء أن تكون أقصى الأمنيات إحلال «سلام» مزعوم، مع التنكُّر للحقوق الثابتة وإسقاط العدالة الناجزة، فهذا الموقف المُختلّ يسوِّغ انصياع الضحية لقاتلها، وإذعانها لسطوته، ورضوخها لهيمنته.

من التضامن إلى الالتحام

دخلت قضية فلسطين طوراً جديداً في الأفق العالمي مع «طوفان الأقصى» وحرب الإبادة الوحشية التي تستهدف هذا الشعب بإسناد مباشر من رعاة الاحتلال وداعميه. وإن كان للمحتلّ المعتدي قوى عظمى ودول متنفِّذة تواصل دعمه وإسناده، فإنّ لفلسطين شعوباً وجماهير وضمائر حيّة من شتى الأوساط والفئات والشرائح تهتف لها وترفع رايتها وتنتفض لأجلها وتصعِّد خطابها ومواقفها وتحرّكاتها في أرجاء الأرض.

ولئن تكشّفت للعيان وشائج الارتباط بين قاعدة الاحتلال في فلسطين وقوى خارجية ترعاها وتدعمها؛ فإنّ لفلسطين عُرى وثقى تتزايد مع شعوب العالم وجماهيره الحيّة وصفوته المبدئية، على نحو يحفِّزها على الالتحام مع شعب فلسطين وأمّته في مسيرة التحرّر والعدالة.

ومن أمارات الالتحام أن تتحقّق حالة مُواكبة ومُعايشة مع فلسطين وقضيتها ووقائع العدوان عليها وجهاد شعبها، على نحو لا يقف عند حدود المعرفة العامّة بالصراع.

ليس هذا الالتحام مع قضية عادلة بدعاً من تجارب البشر، فله شواهد وخبرات وتجارب سابقة في مساندة شعوب سعت إلى التحرّر من الاستعمار والقهر والعنصرية، على أنّ الحاجة إلى ذلك تشتدّ في حالة فلسطين بالنظر إلى سطوة احتلالها المزمن وما يحظى به من حصانة صارمة من المحاسبة وإسناد خارجي هائل في المجالات جميعاً.

ليست مسيرة المقاومة والنضال حكراً على أهل البلاد المنكوبة بالاحتلال الغاشم، فهي تنفتح على آفاق إنسانية رحبة مع تقدير واعٍ لخصوصية كلّ بيئة وأولوية كلّ ظرف ومقتضيات تقاسُم الأعباء وتوزيع الأدوار.

المقاومة في مفهومها الجماهيري العالمي الرحب

لا يقتصر فعل المقاومة على ضرب محدد من الأداء، ولهذا المفهوم تجلِّياته في الواقع الجماهيري العالمي أيضاً. فكل جهد يُناصر قضية

فلسطين ويُساند جهاد شعبها ويتصدّى لمصالح المحتلين وإمدادات الغاصبين هو من المقاومة، وإن جاء في هيئة القول أو الموقف أو التصرّف في أي من المستويات.

تعي الجماهير التي تخوض ملحمتها ضد مصالح الاحتلال في كل مكان، وتنادي بمقاطعته ونزع الاستثمارات منه، وفرض العقوبات عليه، أنّها في مهمة مقاومة، ومثل هذا الفهم يحمله الذي يتظاهرون ويعتصمون ويرفعون الأصوات والرايات؛ لإحقاق الحقّ وإنفاذ العدالة في فلسطين.

إنّ مفهوم المقاومة في أفقها العالمي، قابل لأن يستوعب طاقات وخبرات ومبادرات من شعوب الأرض وثقافاته جميعاً – وليست أمّة العرب والمسلمين استثناءً منها – بروح المبادرة والتفاني والمثابرة، ويتأكّد هذا المعنى عندما يقتضي ذلك تكبُّد مشاقّ، واحتمال أعباء، وتحمُّل ضرائب، وبذل تضحيات.

إنّ الانخراط في المقاومة حسب هذا المفهوم، هو الاستجابة العملية لحالة الوعي النبيه بحقائق قضية فلسطين، وأبعاد الصراع عليها بين الحقّ والباطل، ولهذا الباطل ذيول عالمية، ومسارات دعم وإسناد لا ينبغي التهاون معها، أو غضّ الطرف عنها.

عندما يصير العالم فلسطينياً

يتجلّى الالتحام في تبنِّي قضية فلسطين وبذْل قصارى الجهود لأجلها، وإنّ تطلّب ذلك تضحياتٍ متعدِّدة تُبذَل على هذا الصعيد. يتّسع مفهوم الانتماء إلى قضية فلسطين ليستوعب المنافحين عنها،

وحاملي رايتها، والساعين في مسالكها. لا يقتضي ذلك من أحدهم أو إحداهنَ أن يبرح مكانه في بقعته على خريطة العالم، فالانخراط الفاعل في نضال فلسطين وجهاد شعبها متاح لهم جميعاً أينما كانوا، بالقوّل والبثّ والموقف والتحرّك والمبادرة والجهد والعطاء، أفراداً وجماعات وتخصّصات.

فإنّ أدرك الناس، مثلاً، أنّ مسالك رعاية الاحتلال ودعمه تعبر بين ظهرانيهم بفضل تواطؤات الدول والمؤسسات والشركات والشبكات؛ فإنّ الفاعلين والمُبادرين سيَعُون أدوارهم ومسؤوليّاتهم في التصرّف الناجز؛ لقطع شرايين الاستدامة عن مشروع احتلال جائر يتغذّى على إسناد المتواطئين معه. وإنّ لوحظ أنّ إمدادات الدعم العسكري والسياسي والمالي وغيرها تتدفّق على قاعدة الاحتلال؛ فإنّ تعطيلها يظلّ أولويّة ملحّة، تفرض على الخبرات المتاحة والجهود الفعّالة أن تتصرّف بمقتضاها؛ من قبيل ما تختزنه جماهير الحاضر من قدرات وإمكانات على التعطيل والعرقلة والإحباط والاعتراض والتنديد والمساءلة القانونية.

لا شكّ أنّ الوعي بالمسؤولية والالتزام والدور أساس في إنضاج حالة تبنِّي قضية فلسطين، وتحريك الجهود، وإطلاق المبادرات، وحشد القوى من أجل نصرتها في المجالات جميعاً، بأدوات الحاضر والمستقبل.

محاولة كبح عجلة التاريخ

تتمدّد الحالة الجماهيرية المساندة للشعب الفلسطيني حول العالم، وتلازم معها تحوّل في المزاج الجماهيري العام بشأن هذه القضية،

وتنضمّ مزيد من الأوساط والنُّخَب والمؤثِّرين في حملات ضاغطة على السياسات والمواقف الداعمة للاحتلال واعتداءاته.

يحاول الاحتلال وداعموه كبح عجلة التاريخ عن وجهتها الحتمية، فطوّروا في الواقع العالمي صناعة تشويه وتحريض، مكرّسة لمطاردة ذوي الضمائر الحيّة والمواقف الصادقة، التي تتبنّى قضية فلسطين وتنافح لأجلها، وقد ضخّ الاحتلال إمكانات وموارد هائلة في صناعة التشويه والتحريض هذه، انطلاقاً من خشيته المتأصِّلة من أن يحاصره النبذ العالمي، وأن يعاني العزلة الدولية، وأن تحظى فلسطين بمزيد من الأوساط والأصوات المؤيدة لها في أنحاء المعمورة. كما تتدخّل بعض الحكومات والسلطات التي تُساند الاحتلال وتنحاز إليه في التضييق على الجهود المُناصرة لهذه القضية، إلى درجة الحظر والعقاب أحياناً.

لا شكّ أنّ هذه الضغوط والأدوات المناوئة للحقوق والعدالة في فلسطين تقتضي وعياً في التعامل معها، وتخفيف تأثيراتها قدر الممكن. ومن نافلة القول أنّ مساندة مقاومة فلسطين والانخراط في نضال شعبها، لا يمنع الفاعلين والمبادرين من مراعاة خصائص البيئات والأنظمة القانونية والإجرائية، التي تفرض قيوداً معيّنة في هذا الشأن، فقد يتأتّى المسعى بأشكال وصيغ شتى، من التعبير الصريح أو الإيحاء الرمزي، حسب مقتضى الظرف والخصوصية، مع أهمية عدم الرضوخ لمساعي الترهيب والإسكات الداعمة للاحتلال وجرائمه وانتهاكاته.

مفاهيم وخلاصات

- من قصور التقدير أن يُنظَر إلى احتلال فلسطين على أنّه حالة موضعية، دون إبصار منابته وتعقُّب روافده، فقد كان ولا زال تعبيراً عن موازين قوى مختلّة أوْجدته وعزّزته وحمَتْه وساندته.
- لفلسطين فرصاً كبرى مُختزنة في أحشاء أمّتها الإنسانية وفضاء عالمها الفسيح؛ علاوة على الأدوار المؤكّدة المنشودة من أمّتها في المشرق والمغرب.
- فرض «طوفان الأقصى» حقائق جديدة في مشهد الصراع في فلسطين، فاستنفر الاحتلال وداعموه المتنفِّذون عبر المشهد الدولي قُواهم، في حملة إبادة جماعية، وتدمير شامل، وجرائم حرب مشهودة، عرّت طبيعة هذا الاحتلال العدوانية الوحشية على مرأى من العالم، ونزعت الأقنعة عن رُعاته وداعميه.
- دشّن «الطوفان» مرحلة جديدة في التفاعل العالمي مع فلسطين، بعد أن تراكمت تجارب التضامن مع هذه القضية وخبرات المتفاعلين معها في بيئات شتى حول العالم.
- ينتعش الوعي الجماهيري بحقائق قضية فلسطين، وبأولوية مساندة نضال شعبها بالقول والموقف والتصرّف، ويتشكّل مشهد جديد للتحرُّكات العالمية الضاغطة باتجاه دحر الاحتلال، وتحرير فلسطين من البحر إلى النهر.

- تتوجّه فلسطين بندائها للناس كافّة، أنْ تعالَوْا إلى كلمة سواء لإحقاق الحقوق، ونُصرة العدالة، وإعلاء الحرية، ومناهضة الظلم، ودفع العدوان. هكذا يتبيّن أنّ الامتثال للقيم والمبادئ والشرائع والمواثيق يقتضي الوقوف إلى جانب فلسطين ومساندة قضيّتها؛ التي تصير وفق هذا المنظور قضيّة الناس جميعاً.
- لا يُفتَرض بتنوّع الأمم والثقافات والأديان والألوان والخبرات، أن ينتصب عائقاً دون حمل قضية فلسطين العادلة ومناصرة مقاومة شعبها، بل يجدر أن تكون هذه السِّمات والخلفيات المتنوِّعة مُحفِّزة على إدراك القضية، ومعايشتها من زوايا نظر متفرِّقة، وانفعالات وجدانية متعدِّدة.
- تُمثِّل فلسطين في المشهد البشري الفسيفسائي المتنوِّع عنواناً جامعاً للمشترك الإنساني والضمير العالمي، وإن تعدّدت زوايا النظر إلى قضيّتها، ومقاربات التصرّف التضامني معها.
- لا يكفي التعاطف مع ضحايا الشعوب التي تخوض ملحمتها العادلة، وليس من الإنصاف الاقتصار على مشهد الضحية المغلوبة على أمرها، والتنكّر لمشهد النضال الساعي لانتزاع حقّها من بين أنياب المُغتصب.
- إنّ التصوّرات والخطابات والمواقف التي تتلكأ في التضامن مع شعب فلسطين، أو تضع شروطاً لإبداء موقف مبدئي؛ لا تَرْقى في الواقع إلى مفهوم التضامن

الحـقّ، كمـا لا تُعبِّـر عـن التـزام جـادّ بمسـاندة قضيـة هـذا الشـعب.

- ثمّـة تضامـن زائـف يقـوم مثـلاً علـى إظهـار تعاطـف شـكليّ مـع الضحايـا، ونبـذ مقاومـة شـعبهم المشـروعة لدفـع الظلـم وإنهـاء الاحتـلال، أو اسـتحباب القعـود عـن مواجهـة العـدوان.
- لئـن تكشّـفت للعيـان وشـائج الارتبـاط بـين قاعـدة الاحتـلال في فلسـطين وقـوى خارجيـة ترعاهـا وتدعمهـا؛ فـإنّ لفلسـطين عُـرى وثقـى تتزايـد مـع شـعوب العالـم وجماهيره الحيّـة وصفوتـه المبدئيـة، علـى نحـو يحفِّزها علـى الالتحام مـع شـعب فلسـطين وأمّتـه في مسـيرة التحـرّر والعدالـة.
- ليسـت مسـيرة المقاومـة والنضـال حكـراً علـى أهـل البـلاد المنكوبـة بالاحتـلال الغاشـم، فهـي تنفتـح علـى آفـاق إنسـانية رحبـة، مـع تقديـر واعٍ لخصوصيـة كلّ بيئـة، وأولويـة كلّ ظـرف، ومقتضيـات تقاسُـم الأعبـاء وتوزيـع الأدوار.
- لا يقتصـر فعـل المقاومـة علـى ضـرب محـدد مـن الأداء، ولهـذا المفهـوم تجلِّياتـه في الواقـع الجماهيـري العالمـي أيضـاً. فـكل جهـد يُناصـر قضيـة فلسـطين، ويُسـاند جهـاد شـعبها، ويتصـدّى لمصالـح المحتلـين وإمـدادات الغاصبـين هـو مـن المقاومـة، وإن جـاء في هيئـة القـول أو الموقـف أو التصـرّف في أي مـن المسـتويات.
- مفهـوم المقاومـة في أفقهـا العالمـي قابـل لأن يسـتوعب طاقـات وخبـرات ومبـادرات مـن شـعوب الأرض وثقافاتـه،

بروح المبادرة والتفاني والمثابرة، ويتأكّد هذا المعنى عندما يقتضي ذلك تكبُّد مشاقّ، واحتمال أعباء، وتحمُّل ضرائب، وبذل تضحيات.

- الانخراط في المقاومة الجماهيرية العالمية، هو استجابة عملية لحالة الوعي النبيه بحقائق قضية فلسطين، وأبعاد الصراع عليها بين الحقّ والباطل، ولهذا الباطل ذيول عالمية، ومسارات دعم وإسناد لا ينبغي التهاون معها، أو غضّ الطرف عنها.

- يتّسع مفهوم الانتماء إلى قضية فلسطين ليستوعب المنافحين عنها، وحاملي رايتها، والساعين في مسالكها، في أي بقعة على خريطة العالم، فالانخراط الفاعل في نضال فلسطين وجهاد شعبها متاح لهم جميعاً أينما كانوا، بالقوْل والبثّ والموقف والتحرّك والمبادرة والجهد والعطاء، أفراداً وجماعات وتخصّصات.

- الوعي بالمسؤولية والالتزام والدور أساس في إنضاج حالة تبنّي قضية فلسطين، وتحريك الجهود، وإطلاق المبادرات، وحشد القوى من أجل نصرتها في المجالات جميعاً، بأدوات الحاضر والمستقبل.

- يحاول الاحتلال وداعموه كبح عجلة التاريخ عن وجهتها الحتمية، فطوّروا في الواقع العالمي صناعة تشويه وتحريض، مكرّسة لمطاردة ذوي الضمائر الحيّة والمواقف الصادقة، التي تتبنّى قضية فلسطين وتنافح لأجلها.

- يخشى الاحتلال من أن يحاصره النبذ العالمي، وأن يعاني العزلة الدولية، وأن تحظى فلسطين بمزيد من الأوساط والأصوات المؤيدة لها في أنحاء المعمورة.
- تتدخّل بعض الحكومات والسلطات التي تُساند الاحتلال وتنحاز إليه في التضييق على الجهود المُناصرة لهذه القضية، إلى درجة الحظر والعقاب أحياناً، وهذه تقتضي وعياً في التعامل معها، وتخفيف تأثيراتها قدر الممكن.

المقـاومة خيار الأمّة الاستـراتيجي

فلسطين ليست أرضاً وحسب

لا تُختَزل فلسطين في رقعتها المحدودة على الأرض، فإنّ لها من المكانة والأهمية بالنسبة لأمتها وعالمها في الماضي والحاضر ما يتجاوز مساحتها الضيِّقة. تختزن فلسطين في ذاتها مكنونات دينية وحضارية وثقافية وتاريخية واستراتيجية مكثّفة، لا تتأتّى لغيرها في المعمورة، وهي دوحة تتقاطع في محيطها قارّات العالم المركزية، ويلتقي من حول مقدّساتها جناحا الأمّة، وهي مرتبطة بوشائج وُثقى مع معاقل بلاد العرب ومراكز الحضارة الإسلامية، بنسيج الجغرافيا وأواصر السكان وخصائص الثقافة، فهي تقع من أمّتها موضع القلب، ولها من المكانة المعنوية ما يكافئ الفؤاد، إلى جانب ارتباطها بمهبط الوحي وأرض الحرمين برباط الدين والقداسة.

الاحتلال ليس المساحة التي يشغلها

لا يُختصَر مشروع الاستعمار الاستيطاني الإحلالي العنصري برقعة الاحتلال التي يشغلها في فلسطين وبعض جوارها العربي، فما أقيم هذا المشروع ابتداءً إلاّ برعاية وإسناد من قوى استعمارية، هيّمنت على الأمّة، وفرضت عليها هذا الكيان في هذا الموقع تحديداً؛ كي يتوسّطها ويستعلي عليها، ويكون قاعدة للهيمنة المُستدامة والتدخّلات المتواصلة على أجيالها من بعد. أخلى المستعمرون مواقعهم التي كانوا عليها أواسط

القرن العشرين، وتركوا لهذه الأمّة هذا الكيان الغاصب، الذي تعهّدوا له بضمانات التفوّق على الأمّة بأكملها في القدرات الاستراتيجية المهدِّدة للأمن الجماعي لأقطارها، ولا زالوا على عهدهم في ذلك. لم يكن غرس المشروع الصهيوني لحظة تنتمي إلى ماضٍ بائد لا يتّصل بالحاضر؛ فهي لحظة تاريخية حيّة متجدِّدة على تعاقُب الأطوار والأدوار والرُّعاة، أرست القواعد وفرضت المعادلات، ولم يقع التنصُّل منها أو طلب الصفح عنها.

ممّا كشفه الطوفان

كشف «طوفان الأقصى» للعيان من جديد، وكما تبيّن في محطات سابقة، أنّ لهذا الكيان الغاصب رعاة وداعمين مخلصين، يمدّونه بأسباب العلوّ الاستراتيجي على الإقليم العربي الإسلامي بأكمله، بما في ذلك ضمان تفرُّده بالردع النووي والردع التقليدي، وبأعتى الأسلحة التي تملكها القوى الغربية العظمى، التي تواصت بإسناد قاعدة الاحتلال الحربية هذه ودعمها بلا هوادة. فما إنْ كشف «الطوفان» هشاشة الاحتلال في فلسطين وزعزع بنيانه من القواعد، حتى هرعت قوى عظمى إلى التدخّل المباشر في المشهد، بإنزال كثيف للقدرات والخبرات؛ كي يستعيد الكيان توازُنَه، وليسترجع صورة الردع والعلوّ التي نسجت له طويلاً لترهيب العالم العربي والإسلامي، وفرضه على حاضر الأمّة ومستقبلها.

إنّ هذا الاحتلال المباشر على الأرض مُصمّم كي يتسيّد - بقدراته الاستراتيجية الفائقة التي أتيحت له - فضاء الأمّة الرحب، بمركزية علوّه الظاهر في الإقليم، وامتياز تفوّقه المُكتَسب من رُعاته، وبإمدادات لا تنضب من داعميه، الذين جعلوه فوق القانون الدولي ومواثيق الأمم، متعالياً على المُساءلة، ومحصّناً من المحاسبة، ومكّنوه من أعتى أدوات الإبادة الجماعية وأفتك أسلحة الدمار الشامل، وساندوه في تركيز القدرات الأمنية والاستخبارية التي يخترق فيها محيط الأمّة، ويهدِّد أمن الدول والشعوب والمجتمعات.

علوّ يفرض الإذعان

إنّ فُرَص بقاء هذا الكيان في عُلوِّه وطغيانه على الأمّة بأكملها، تبقى خاضعة لإضعافها وتقويض قدراتها واستنزاف مقوِّماتها واستهداف هويّتها، وإنّه ليرى في أي بادرة نهوض حضاري، أو استجماع قوى، أو تكامل قدرات، أو حرية شعوب، أو استرداد سيادة وطنية، تهديداً وجودياً يقتضي منه السعي إلى تقويضه وكبحه وتعطيله، أو حرفه وإشغاله واستنزافه.

إنّ المقاومة التي تشتبك مع قاعدة الاحتلال في فلسطين تدرك أنّها قاعدة للعلوّ الاستراتيجي على الأمّة أيضاً، وأنّ هذا العلوّ لم يتأتّ لها إلاّ باختلال جسيم في موازين القوى في عالمنا، واندفاع قوى عظمى في الماضي والحاضر لتركيز القدرات الاستراتيجية في هذا الكيان المصطنع؛ لتضمن استعلاءه وهيْمنته على فضاء الأمّة، حتى

أنّها دفعت له بتعزيزات جرّارة بعد أن ترنّح من أثر «الطوفان»، كي لا تختلّ التوازنات المفروضة على الأمّة في مشرقها ومغربها.

وما انزلاق بعض العواصم إلى إبرام اتفاقات «المصالحة والتعاون» مع هذه القاعدة الحربية النووية الأمنية، إلاّ تأكيد لواقع العلوّ الاستراتيجي المفروض على الأمّة بمنطق القوّة والردع والغطرسة؛ وبالغطاء السياسي والعسكري والاقتصادي السابغ الذي تجود به قوى دولية على هذا الكيان.

رقعة احتلال وقاعدة هيمنة

يتّضح لكلّ ذي عينَيْن أنّ فلسطين هي رقعة الاحتلال المباشر، وقاعدة الهيمنة والعلوّ الواسعة، التي جرى تمكينها كي تتسيّد المشهد الاستراتيجي فوق الدول العربية والإسلامية، التي يتواصل في الوقت ذاته إضعاف قدراتها، واستنزاف قواها، وتقزيم مكانتها الاستراتيجية، وصرف أولويّاتها الصراعية بعيداً عن كيان الاحتلال والهيمنة.

إنّ الانزلاقات التي تأتي تحت عنوان «التطبيع» تعبِّر في حقيقتها عن حالة انصياع لعلوّ الكيان الغاصب، ورهان عاجز على الاستقواء به في صراعات وتوازنات ضمن فضاء الأمّة، زيادة على أنّ طرق أبواب الاحتلال في فلسطين يُرجى منه أيضاً استمالة قوى الهيمنة الخارجية التي ترعاه وتدعمه.

العلوّ الاستراتيجي نتيجة منطقية

إنّ العلوّ الاستراتيجي المهيْمن على الأمّة هو نتيجة منطقية لتركيز القدرات الفائقة في هذه القاعدة، التي تحتلّ قلب الأمّة وترتبط عضوياً بالخارج المهيْمن على العالم تقريباً. وإنّ جيش الاحتلال إذ يحرص على اقتراف التقتيل والتدمير بأبعاد قياسية، فإنّه يبتغي من ذلك أيضاً أن يقذف في قلوب الأمة الرعب منه؛ كي لا تجترئ على ردعه أو توجيه قواها لمواجهته؛ رغم أنّه يحتلّ الأرض، ويُدنِّس المقدّسات، ويُهدِّد مصالح الأوطان والشعوب في أرجاء الأمّة. وكلّما تقدّمت انزلاقات «التطبيع»، تراجعت حظوظ التعاون والتكامل بين أقطار الأمّة، وتفاقمت الصراعات والمنافسات التي تستنزف قواها، وتهدِّد مصالحها، وتخاطر بحاضرها ومستقبلها، وشواهد هذه الحالة ماثلة للعيان في أرجاء الأمّة مشرقاً ومغرباً ومركزاً.

فاستدامة تفوُّق الاحتلال في فلسطين على الأمّة بأسرها، يتلازم مع إنهاكها وإضعاف دولها بكل الأشكال المتاحة. إنّ سَعْي بعض أنظمة الحكم وأطراف السياسة إلى الاستقواء بقاعدة الاحتلال والهيمنة، كفيل بأن يُؤجِّج الصراعات، ويُشعل المنافسات، ويهوي بمصالح الأمّة والدول والشعوب، ويهدِّد أمنها الوطني والجماعي. ولا عجب أن تتلازَم مع هذه الاتفاقات جهود حثيثة لاستهداف وعي الأمّة، وضرب قيمها وهويتها الحضارية؛ ابتغاء نشر ثقافة مجتمعية تستحسن الرضوخ لمحتلِّي الأرض والدِّيار والمقدّسات، وتُسوِّغ الانصياع لعلوِّهم الاستراتيجي، وتَمْرُق من أواصر الدِّين، وتتنكّر للانتماء إلى الأمّة الواحدة أيضاً. فتكريس كيان الاحتلال

في موقع المركز المهيمن يقتضي نزع قيَم العزّة والكرامة والإباء من صدور أجيالها، وإطفاء روح الجهاد والمقاومة والتحرّر من وجدانهم.

الأمّة بين الارتهان للسطوة والاشتباك معها

أظهرت تجارب الواقع أنّ اتفاقات «التطبيع» المبرمة لم تَزِد أقطار الأمّة المعنيّة إلاّ ضعفاً وتآكلاً، وقد فهمها المنطق الاستراتيجي للاحتلال ورعاته وداعميه على أنّها ارتهان لسطوته، ورضوخ لهيمنته، وانصياع لتوازُنات قوى مُختلّة فرضوها على هذه الأمّة، وكبّلوا بها حاضرها ومستقبلها؛ كي لا تقوم لها قائمة.

إنّ المقاومة إذ تُقارع الاحتلال في فلسطين، فإنّها تشتبك مع عُلوِّه الاستراتيجي وهيمنته المتغطرسة، وتفتح لمحيطها القريب وفضاء أمّتها آفاقاً واعدة لفرض توازنات جديدة، وتحصين مصالح الأمن الجماعي التي تحيق بها التهديدات والمخاطر.

قضية فلسطين والمركزية المركّبة

إنّ مركزية قضية فلسطين متأتية من حقائق مركزية مركّبة، منها:

- مركزية هذه الرقعة وقيمتها المباركة ومكانتها بحسابات الحضارة والتاريخ والدين والهوية والاستراتيجيا.

- وهي مركزية متحقّقة أيضاً بما تمثّله قضية فلسطين من أهمية فائقة في واقع الأمّة والعالم.
- كما أنها مركزية تتجلّى من واقع إسناد قوى الهيمنة العالمية لقاعدة الاحتلال كي تتسيّد المنطقة وتعلو على الأمّة، وما اندفاعة الإسناد العاجل والهائل بعد مدّ الطوفان المزعزع إلاّ لحظة طوارئ كاشفة لا يصحّ إغفالها.

المقاومة خيار استراتيجي حتمي

إنّ المقاومة خيار استراتيجي حتمي للأمّة في وجه واقع الإضعاف والارتهان المزمن، الذي لا فكاك منه إن أُبقي على قاعدة الاحتلال والهيمنة في علوِّها الطاغي، فليست المقاومة مشروع فلسطين وحدها، وإنما هي مشروع الأمّة كلها، ومعها القوى المناصرة للعدالة والحقوق، التي تتطلّع إلى تصحيح الاختلالات الجسيمة في عالمنا. هذا ما أدركته دول وحكومات وقوى وأصوات من الجنوب العالمي، رأت في حالة احتلال فلسطين نموذجاً شاخصاً للناظرين على أزمة النظام الدولي، وهيمنة دول السطوة عليه، التي استمرأت ازدواجية المعايير، واستدعاء القيم والمبادئ انتقائياً بما يروق لأهوائها ويخدم مصالحها، فباشرت دول قاصية في جغرافيا العالم مساندة فلسطين بقطع العلاقات مع محتلِّيها تباعاً، وملاحقتهم في المحاكم الدولية، وتحذيرهم من عواقب جرائمهم.

إنّ زمن «الطوفان» هو اللحظة المواتية لمراجعات شاملة وعميقة في الرؤى الاستراتيجية لهذه الأمّة في دولها وقواها وتيّاراتها، مع استجماع حسّ الانتماء إلى القدس وفلسطين، وإيقاظ الوعي الاستراتيجي بمخاطر قاعدة الاحتلال والهيمنة، وإنعاش الحسّ التاريخي الذي يقرأ فرصاً سانحة للتأثير في توازنات القوى العالمية، أو الاستفادة من متغيِّراتها على الأقلّ في عالم لا يبقى على حاله أبد الدهر.

مفاهيم وخلاصات

- لا تُختَزل فلسطين في رقعتها المحدودة على الأرض، فإنّ لها من المكانة والأهمية بالنسبة لأمّتها وعالمها في الماضي والحاضر ما يتجاوز مساحتها الضيِّقة.

- لا يُختصَر مشروع الاستعمار الاستيطاني الإحلالي العنصري برقعة الاحتلال التي يشغلها، فما أقيم ابتداءً إلاّ برعاية وإسناد من قوى استعمارية، هيمنت على الأمّة، وفرضت عليها هذا الكيان في هذا الموقع تحديداً؛ كي يتوسّطها ويستعلي عليها، ويكون قاعدة للهيمنة المُستدامة والتدخّلات المتواصلة.

- لم يكن غرس المشروع الصهيوني لحظة تنتمي إلى ماضٍ بائد لا يتّصل بالحاضر؛ فهي لحظة تاريخية حيّة متجدِّدة على تعاقُب الأطوار والأدوار والرُّعاة، أرست القواعد وفرضت المعادلات.

- كشف «طوفان الأقصى» للعيان من جديد أنّ لهذا الكيان الغاصب رعاة وداعمين مخلصين، يمدّونه بأسباب العلوّ الاستراتيجي على الإقليم العربي الإسلامي بأكمله.

- ما إنْ كشف «الطوفان» هشاشة الاحتلال في فلسطين وزعزع بنيانه من القواعد، حتى هرعت قوى عظمى إلى التدخّل المباشر في المشهد، بإنزال كثيف للقدرات

والخبرات؛ كي يستعيد الكيان توازُنَه، وليسترجع صورة الردع والعلوّ التي نسجت له طويلاً لترهيب العالم العربي والإسلامي، وفرضه على حاضر الأمّة ومستقبلها.

- فُرَص بقاء هذا الكيان في عُلوِّه وطغيانه على الأمّة بأكملها، تبقى خاضعة لإضعافها وتقويض قدراتها واستنزاف مقوِّماتها واستهداف هويّتها.

- يرى الاحتلال في أي بادرة نهوض حضاري، أو استجماع قوى، أو تكامل قدرات، أو حرية شعوب، أو استرداد سيادة وطنية، تهديداً وجودياً يقتضي منه السعي إلى تقويضه وكبحه وتعطيله، أو حرفه وإشغاله واستنزافه.

- فلسطين هي رقعة الاحتلال المباشر، وقاعدة الهيمنة والعلوّ الواسعة، التي جرى تمكينها كي تتسيّد المشهد الاستراتيجي فوق الدول العربية والإسلامية، التي يتواصل إضعاف قدراتها، واستنزاف قواها، وتقزيم مكانتها الاستراتيجية، وصرف أولويّاتها الصراعية بعيداً عن كيان الاحتلال والهيمنة.

- علوّ الاحتلال الاستراتيجي المهيْمن على الأمّة هو نتيجة منطقية لتركيز القدرات الفائقة في هذه القاعدة، التي تحتّل قلب الأمّة، وترتبط عضوياً بالخارج المهيْمن على العالم تقريباً.

- جيش الاحتلال إذ يحرص على اقتراف التقتيل والتدمير بأبعاد قياسية، فإنه يبتغي من ذلك أيضاً أن يقذف في قلوب الأمّة الرعب منه؛ كي لا تجترئ على ردعه أو توجيه قواها لمواجهته.

- كلّما تقدّمت انزلاقات «التطبيع»، تراجعت حظوظ التعاون والتكامل بين أقطار الأمّة، وتفاقمت الصراعات والمنافسات التي تستنزف قواها، وتهدِّد مصالحها، وتخاطر بحاضرها ومستقبلها.

- استدامة تفوُّق الاحتلال في فلسطين على الأمّة بأسرها يتلازم مع إنهاكها وإضعاف دولها بكل الأشكال المتاحة.

- الاستقواء بقاعدة الاحتلال والهيمنة كفيل بأن يُؤجِّج الصراعات، ويُشعل المنافسات، ويهوي بمصالح الأمّة والدول والشعوب، ويهدِّد أمنها الوطني والجماعي.

- تتلازَم اتفاقات «التطبيع» مع جهود حثيثة لاستهداف وعي الأمّة، وضرب قيمها وهويتها الحضارية؛ ابتغاء نشر ثقافة مجتمعية تستحسن الرضوخ لمحتلِّي الأرض والدِّيار والمقدّسات، وتُسوِّغ الانصياع لعلوِّهم الاستراتيجي، وتَمْرُق من أواصر الدِّين، وتتنكّر للانتماء إلى الأمّة الواحدة أيضاً.

- تكريس كيان الاحتلال في موقع المركز المهيمن يقتضي نزع قيَم العزّة والكرامة والإباء من صدور أجيالها، وإطفاء روح الجهاد والمقاومة والتحرّر من وجدانهم.

- اتفاقات «التطبيع» المبرمة لم تَزِد أقطار الأمّة المعنيّة إلاّ ضعفاً وتآكلاً، وقد فهمها المنطق الاستراتيجي للاحتلال ورعاته وداعميه على أنّها ارتهان لسطوته، ورضوخ لهيمنته وانصياع لتوازُنات قوى مُختلّة.

- المقاومة تُقارع الاحتلال في فلسطين، وتشتبك مع عُلوِّه الاستراتيجي وهيْمنته المتغطرسة، وتفتح لمحيطها القريب وفضاء أمّتها آفاقاً واعدة لفرض توازنات جديدة، وتحصين مصالح الأمن الجماعي التي تحيق بها التهديدات والمخاطر.

- مركزية قضية فلسطين متأتّية من حقائق مركزية مركّبة، منها مركزية هذه الرقعة وقيمتها ومكانتها، وما تمثّله قضية فلسطين من أهمية فائقة في واقع الأمّة والعالم، وواقع إسناد قوى الهيمنة العالمية لقاعدة الاحتلال كي تتسيّد المنطقة وتعلو على الأمّة.

- المقاومة خيار استراتيجي حتمي للأمّة في وجه واقع الإضعاف والارتهان المزمن، الذي لا فكاك منه إن أُبقي على قاعدة الاحتلال والهيمنة في علوِّها الطاغي.

- ليست المقاومة مشروع فلسطين وحدها، وإنما هي مشروع الأمّة كلها، ومعها القوى المناصرة للعدالة والحقوق، التي تتطلّع إلى تصحيح الاختلالات الجسيمة في عالمنا.

- زمن «الطوفان» لحظة مواتية لمراجعات شاملة وعميقة في الرؤى الاستراتيجية لهذه الأمّة في دولها وقواها وتيّاراتها، مع استجماع حسّ الانتماء إلى القدس وفلسطين، وإيقاظ الوعي الاستراتيجي بمخاطر قاعدة الاحتلال والهيمنة، وإنعاش الحسّ التاريخي الذي يقرأ فرصاً سانحة للتأثير في توازنات القوى العالمية، أو الاستفادة من متغيِّراتها.

فلسطين
حركة المقاومة الإسلامية - حماس